

فهرس هذا العدد

- * م. ب وبحنه النقدي: - دراسة في نقد النقد د. محمد إبراهيم المسلماني ٥٨٩
- * صلة السلطة بالقائل في العصور العباسية المتأخرة د. عبد اللطيف ناصر الحميدان ٦١٤
- * القارئ وإنتاج المعنى في مصطلح "حسن التعليل" البلاغي د. إبتسام محفوظ محمود ٦٣٥
- * المزاح والدعابة في الإسلام: قراءة في فقه السيرة ودعابة الصحابة والتابعين ومزاحهم (٢) د. التاه بن محمد بن أجمد ٦٥٦
- * تصحيحات الميمني وإضافاته على حواش لسمط اللآلي (٢) د. أحمد خان ٦٨٧
- * بريد العرب: مقال مجهول للشيخ حمد الجاسر
- * مكتبة العرب: معجم مطبوعات التراث في المملكة العربية السعودية
- * إهداءات إلى مكتبة العرب

ج ٩ و ١٠، س ٥٢، الربيعان ١٤٣٨هـ

(ديسمبر-يناير / كانون أول-كانون ثاني ٢٠١٧م)

م. ب وبجته النقدي دراسة في نقد النقد

بقلم: د. محمد إبراهيم المسلماني ❖

مقدمة

تقدّمت أوروبا في العصر الحديث في العلوم والفنون والآداب، وبنّت نهضتها وحضارتها الحديثة على العلم الذي يخضع للعقل، ومما تقدمت فيه النقد الأدبي، وقد أدّى هذا التقدم إلى أن يولي نقاد الأدب العربي الحديث وجوههم شطر أوروبا للنهل من هذا النقد الأدبي الحديث. لذا وجدنا نقاداً رواداً في أدبنا العربي تأثروا بالفكر وبالحضارة الأوربية وأفادوا أمّتهم بما علموه من نقد حديث قائم على نظريات جديدة قدّموها إلى القراء العرب.

من هؤلاء النقاد ناقد لم يذكر اسمه، إنما رمز إليه بالحرفين (م. ب)، ونشر ثمانى مقالات متتابعة في مجلة الهلال المصرية، بدأها في عدد ديسمبر من سنة ١٩١٦م وأنهاها في عدد يوليو من سنة ١٩١٧م، ووضع عنوان

(بحث في النقد) للثلاث مقالات الأولى، وعنوان (بحث في النقد - النقد في فرنسا) لما بقي من مقالات.

وتأثر هذا الناقد بنقاد عرب سبقوه في الكتابة في النقد الأدبي الحديث في مطلع القرن العشرين، وظهر هذا التأثير جلياً واضحاً في ثنايا مقالاته، وفي نظريته النقدية التي ابتكرها وقدمها للقراء، ويرى أنها تصلح للتطبيق على الآداب ومنها الأدب العربي.

وسأقوم بمناقشة هذه النظرية محاولاً الوصول إلى أصولها في النقد الفرنسي.

لم أجد لهذه المقالات - حسب علمي وقراءاتي - ذكراً في الدراسات النقدية الحديثة. وسأحاول جاهداً أن أصل إلى اسم كاتبها الحقيقي، وإلى سبب إخفاء اسمه عن القراء، كما سأناقش بعض أفكاره النقدية. وبهذا أحاول - قدر استطاعتي - أن أقدم فكر ناقد لم يُعد نشر مقالاته السالفة الذكر في كتاب، ولم يكتب اسمه عليها رغم أهميتها وكونها من باكورات النقد الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين. وأتمنى أن تكون محاولتي صواباً، وإن لم تكن كذلك فحسبي أنني حاولت قدر استطاعتي.

[١١] - مَنْ م. ب؟

أولاً - لماذا يخفي بعض الكتاب أسماءهم؟

اعتاد عدد من الكتاب - سواء في النقد الأدبي أو في غيره من الموضوعات - ألا يكتبوا أسماءهم على بعض مقالاتهم أو كتبهم، ويتركونها مجهولة

المؤلف ، أو يكتبون عليها اسماً مستعاراً ، أو يرمزون لأسمائهم بحروف هجائية ، ولاحظت ذلك في الكتابات الحديثة التي صدرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مصر ، مع العلم بأن هذه الظاهرة قديمة ومألوفة منذ قرون سابقة في أوروبا ، لذلك وجدنا ديكارت Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠م) الفيلسوف والناقد الفرنسي لم يكتب اسمه على كتابه الشهير (مقال عن المنهج) ، لأنّ ديكارت "كان عدواً للشهرة ، ثم لأنّ خلوّ الكتاب من اسم مؤلفه كان أمراً مألوفاً في هذا الزمن"^(١). ومن المجالات التي بدأت في القرن التاسع عشر في مصر وفيها ظاهرة عدم التصريح بالأسماء: مجلتا "المقتطف" و"الهلال" ، وأخذت هذه الظاهرة تقل كلما اقتربنا من منتصف القرن العشرين ، ويرجع إخفاء أسمائهم - في رأيي - إلى ثلاثة أسباب :

السبب الأول : الخوف من تأويل كلامهم بعبارات تصل لأولي الأمر فتعرضهم للاتهام ، ثم لفقد وظائفهم في الدولة أو مكائنتهم في المجتمع ؛ لأنه في ذلك الوقت "إذا تكلم الحرُّ تكلم همساً ، وإذا كتب أخفى اسمه ، ولاسيما إذا كان من موظفي الدولة ، ولو كان موضوعه في الأدب أو الطب ؛ لأنّ الجواسيس يحولون كل معنى إلى المكائد والذسائس"^(٢). والسبب الثاني : تقليد بعض كتّاب العربية في العصر الحديث لفئة من كتّاب الغرب في إعلاء شأن المعلومات المنشورة على أشخاص مؤلفيها ، "فقد جرت عادة لبعض حديثي النقاد من الإنجليز والألمان أن ينشروا فصول نقدهم خالية من إمضاءاتهم ، زاعمين أنّ شهرة الكاتب تؤثر في

رأي القارئ، فإن كان من الخاملين لم يُعبأ بقوله وإن وقع على الصواب. وإن كان من النابهين عدَّ خطؤه فصل الخطاب"^(٣). والسبب الثالث: خشية بعض الكتاب من هجوم القراء عليهم خاصة إذا كتبوا في موضوع شاذ أو مستهجن.

من الكتاب النقاد الذين لم يكتبوا أسماءهم خوفاً من تأويل كلامهم الكاتب الفلسطيني المقدسي محمد روجي الخالدي الذي بدأ نشر كتابه النقدي "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب" على هيئة مقالات في مجلة "الهلال"، بلغ عددها عشرين مقالاً، بدأها في عدد ١٥ من نوفمبر من عام ١٩٠٢م وختمها في عدد يوليو من عام ١٩٠٤. وكتب عليها (كاتب فاضل) بدلاً من كتابة اسمه، وعندما أعاد طبعها في كتاب سنة ١٩٠٤م أخفى اسمه أيضاً واكتفى بكتابة (المقدسي) إشارة إلى موطنه (القدس). ولم يوافق على الجهر باسمه وكتابته على كتابه إلا بعد أن نفذت الطبعة الأولى وصدرت الطبعة الثانية سنة ١٩١٢م، بعد أن تأكد أنّ القراء المُغرضين لم يجدوا في كتابه ما يأخذونه عليه؛ ليفسدوا عمله الدبلوماسي، لأنه كان يومئذ قنصل جنرال الدولة العثمانية في مدينة (بورجو) الفرنسية.

ولم يكتب الدكتور محمد حسين هيكل اسمه على روايته "زينب" في طبعتها الأولى، وإنما كتب "مصري فلاح"؛ لأنه كان يعمل محامياً؛ وكان يخشى على مكانته في المجتمع وفي أوساط المحامين، ولم يكتب اسمه عليها إلا في طبعات لاحقة.

ولم يكتب الدكتور طه حسين اسمه على المقالات التي دارت بينه وبين الدكتور محمد حسين هيكل عن أضرار ومنافع الحرب في مجلة السفور سنة ١٩١٥م على مدى ستة أسابيع، وقد بدأها طه حسين بمقالة عن (الحرب والحضارة)، وأعادت مجلة "الهلال" نشر جزء منها في عدد ديسمبر من سنة ١٩٣٩م. وسبب إخفاء طه حسين لاسمه أنه تبنى الفكرة التي ترى أنّ للحرب فوائد في العلوم والآداب، وتدفع الإنسانية إلى الأمام، وهي فكرة يستهجنها كثير من الناس، ولم يعرف القراء أنّ صاحب هذه المقالات هو طه حسين إلا بعد أن أعلن هيكل في مقالته الأخيرة أنّ مناظره هو طه حسين^(٤).

ثانياً- مَنْ م. ب.؟

ظهرت في مجلة "الهلال" ثماني مقالات متتابعة، أولها في عدد ديسمبر سنة ١٩١٦ وأخرها في عدد يوليو سنة ١٩١٧، تحمل عنوان "بحث في النقد" ومذيلة برمز لاسم مؤلفها هو (م. ب.)، ولم يقيم مؤلف هذه المقالات بإعادة نشرها، وأحاول الآن -قدر استطاعتي- أن أصل إلى اسم هذا المؤلف.

أظن أنّ (م. ب.) هو (ميشيل أيوب)، وطني هذا يقترب كثيراً من اليقين، حتى كاد يُصبح يقيناً، وبنيت رأبي هذا على دليلين:

الدليل الأول: أنني وجدت مقالاً في النقد الأدبي باسم (ميشيل أيوب) في مجلة "الهلال"، عدد ديسمبر من سنة ١٩١٧م عنوانه: "النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج". جدير بالذكر أنّ ميشيل أيوب قد

شرح في هذه المقالة : تاريخ النقد البياني وأسلوبه عند العرب ، ونوه في نهاية مقالته هذه أنه سيتكلم عن المقارنة بين طريقة العرب في الانتقاد وطريقة الإفرنج في مقالة تالية ، وقد بحثت عن هذه المقالة التالية - قدر استطاعتي - في أعداد مجلة الهلال التي صدرت بعد ذلك خلال ثلاثة أعوام ، هي ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ م. ولم أجد تكملة لهذه المقالة أو كتابات أخرى باسم ميشيل أيوب ، أو م. ب ، أو باسم أو رمز يشبه أو يقترب من م. ب أو ميشيل أيوب. كما بحثت خلال هذه الفترة في مجلة "المقتطف" التي كانت تصدر مع مجلة "الهلال" ، ولم أجد ذكراً لهذه المقالة. وقد يكون كاتب هذه المقالة مقيماً في فرنسا أو في دولة أخرى غير مصر ، وانشغل بأشياء أخرى حالت دون تكملة ما كتبه.

أما المقالة - التي بين أيدينا - التي كتبها ميشيل أيوب ، فتشبه إلى حد كبير في أسلوبها وطريقة تحليلها ما كتبه كاتبنا (م. ب) في مقالاته الثماني المذكورة في مواضع كثيرة منها ما يأتي :

أ- بدأ ميشيل أيوب مقالته عن (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج) بنفي معرفة العرب للنقد الأدبي الحديث الذي اكتمل في أوروبا ، ووصفهم بأنهم جهلوا "النقد من حيث هو علم قائم بنفسه مبني على قواعد ثابتة وأصول نظرية دائمة ، جهلوه من حيث هو فن أدبي... وقد قصر في الغالب عندهم على الشُّعر يبحثون في نسقه وعروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوب صاحبه"^(٥). وهذا الكلام تكرر لما جاء في مقالة م. ب الأولى عندما وصف النقد بأنه "علم حديث قد بلغ اليوم

في أوروبا أرقى درجات الكمال، على أنه لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد تطور مستمر دام قرونًا طويلة، ولم يعرفه العرب في أرقى صورته؛ لأنّ أحوالهم السياسية والنحلال دولتهم لم تمكنهم من مواصلة التقدم في العلوم والفنون ومن جعلتها النقد، فإنهم لم يدركوه إلا في أدواره الأولى، إذ كان مقصوراً في الغالب على النقد الكلامي واللغوي" (٦).

ب- في تكملة حديث ميشيل أيوب السابق عن عدم معرفة العرب بالنقد الأدبي الحديث من حيث هو علم وفن، إشارة إلى نظرية م. ب. النقدية، عندما وصف العرب بأنهم: "جهلوه من حيث هو فن أدبي غرضه فحص المصنّفات العقلية عامة والموضوعات الأدبية خاصة وشرحها وترتيبها والحكم عليها" (٧). والشرح والترتيب والحكم في هذا الكلام هي عناصر نظرية (م. ب.) النقدية التي قدّمها للقراء في مقالته الأولى تحت عنوان داخلي هو (أغراض النقد الحديث) عندما قال: "أغراض النقد المشهورة ثلاثة: التشريح والحكم والترتيب" (٨).

ج- وفي إحدى مقالات م. ب. التي نشرها في السنة رقم ٢٦ من سنوات مجلة الهلال - التي تبدأ بعدد شهر أكتوبر من كل عام - كاد ميشيل أيوب يفصح عن نفسه ويقول بأنه (م. ب.) عندما قال:

"إنّ النقد البياني عند العرب ليس إلا نوعاً من النقد الفيلولوجي الذي كان رائجاً في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، أي أثناء النهضة الأدبية، وسبق لنا أن أوضحنا ماهية هذا الضرب من النقد في العام الماضي" (٩)، أي في السنة رقم ٢٥ من سنوات مجلة "الهلال"، ففي

أثناء هذه السنة كتب م. ب مقالته الثالثة في عدد شهر فبراير من سنة ١٩١٧م شارحاً ومفسراً ماهية النقد الفيلولوجي، ثم قال: "ولا ريب في أنه إذا حصلت في الشرق نهضة علمية مثل التي حدثت في أوربا فإنّ النقد الفيلولوجي يصلح دون سواه لأن يمهد لنا طريق البحث والتنقيب في آثار العرب"^(١٠)، وقد وصف م. ب النقد الفيلولوجي بأنه "يرمي إلى انتقاد الكتب من حيث لغتها وإعرابها وصلتها بالكتب القديمة مما يضطر المنتقد أن يكون ملماً بآثار السلف عالماً باللغة والفقه"^(١١). ووصف أصحاب هذا النوع من النقد بأنهم لم يأتوا "بأفكار جديدة، ولكنهم وسّعوا نطاقه وأسندوا إليه وظيفة البحث والتنقيب في الكتب القديمة... ويكاد النقد عند العرب يكون مقصوراً على ذلك"^(١٢).

د- هناك كلمات معيّنة جاءت في مقالات م. ب وتكررت في مقالة ميشيل أيوب، مما يرجح الطرح القائل بأنّ هذه الكلمات من أسلوب كاتب واحد، فعند قراءة مقالة ميشيل أيوب ومقابلتها بمقالة واحدة من مقالات م. ب وهي المقالة الخامسة -على سبيل المثال- نجد فيهما الكلمات والجمل الآتية: (متين)، و(سها)، و(أس)، و(نسج على منوال)، و(ما عتم).

❖ كلمة (متين): يقول ميشيل أيوب عن العرب: "النقد عندهم لم يُبن على أساس متين"^(١٣). ويقول م. ب: "وقد جمعت الأكاديمية بين كُتّاب ذلك العصر وأوجدت بينهما صلة متينة"^(١٤).

❖ كلمة (سها): يصف ميشيل أيوب أبا منصور الثعالبي بأنه «أسهب في كتابه "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" في إظهار محاسن الشعراء وترويج بضاعتهم إلا أنه سها عنه تمييز صناعة شاعر عن غيره"^(١٥). ويقول م. ب عن الكتاب الذين ينقلون عن القدماء بلا وعي: "فقد سها عن أولئك الكتاب أنّ الإنسان غير معصوم عن الخطأ"^(١٦).

❖ كلمة (أس): يقول ميشيل أيوب عن المشاجرات التي تحدث بين البيانيين: "كان أس النزاع فيما بينهم تباين مذاهبهم واختلاف آرائهم وأهوائهم وأغراضهم"^(١٧). ويقول م. ب عن قواعد النقد في عهد الروائي الفرنسي كورني Corneille: "غير أنّ النقاد في ذلك الوقت كانوا يعتبرون معرفة القواعد أس كل نجاح"^(١٨).

❖ جملة (نسج على منوال): يصف ميشيل أيوب الشعراء العباسيين الذين جدّدوا في الشعر بأنهم: "نبذوا الشعر الجاهلي لبعده عن عيشتهم، وعدلوا عن النسج على منوال السلف في قرض الشعر"^(١٩). ويقول م. ب عن بوالو Boileau: "إنه قد اشترط على كل من أراد اتخاذ الكتابة حرفة أن تتوافر فيه شروط الكاتب الحقيقية... من عبقرية عصماء وعقل مبتدع وذوق سليم وشعور رقيق وعلم بأصول اللغة وقواعدها ومعرفة تامة بالآداب القديمة لتكون لديه بمنزلة مصادر يرجع إليها، وأصول ينسج على منوالها"^(٢٠).

❖ كلمة (ما عتم): يقول ميشيل أيوب عن شعراء العصر العباسي الذين ابتكروا طريقة جديدة في الشعر تختلف عن طريقة الجاهليين: "إنّ الشعر

في عصرهم انتحل الصبغة القومية، وتكيف حسب تكيف الوسط، وهذا ما تقضي به سنة التطور، وما عتموا أن فضلوا أنفسهم على الجاهليين معتمدين في ذلك على مجرد أهوائهم"^(٢١). ووصف م. ب أعضاء المجمع اللغوي في فرنسا بأنهم ألقوا قاموساً لغوياً "جمعوا فيه الكلمات المتداولة بين الطبقة الراقية، أي أنهم نقّحوا اللغة وهذبوها بإهمال الألفاظ الخشنة التي ما عتمت أن تلاشت بالتدرّج لقلّة استعمالها حتى ماتت"^(٢٢).

هـ- هناك قرينة ضعيفة بذاتها، قوية إذا أضيفت لما سبق وهي رجوع كل من م. ب وميشيل أيوب إلى "كتاب تاريخ آداب اللغة العربية" لجورجي زيدان في التدليل على بعض الأشياء"^(٢٣).

الدليل الثاني: الذي بنيت عليه رأيي بأنّ (م. ب) هو ميشيل أيوب، أنني وجدت مقالاً في مجلة "فصول" المصرية الصادرة في خريف سنة ١٩٩٣م مترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية تحت عنوان "الفولكلور في نهاية الأرب" للنويري تآليف م. ب ميشيل، وترجم هذا المقال (حلمي شعراوي)، وكتب مقدمة له قال فيها: "قدّم الأستاذ ميشيل هذا البحث عن كتاب (نهاية الأرب في فنون العرب) لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى عام ٧٣٢هـ (١٣٣٢م) إلى المؤتمر الدولي للجغرافيا المنعقد بالقاهرة في أبريل سنة ١٩٢٥م بالتعاون بين الجمعية الجغرافية المصرية والمعهد الفرنسي للآثار المصرية"^(٢٤).

ومقالات (م. ب) الثماني السالفة الذكر في النقد الأدبي تُنمُّ عن طغيان الفكر الفرنسي على المؤلف، وواضح من عنوان مقالة ميشيل أيوب

السالفة الذكر (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج) أنّ المؤلف متأثر بالفكر الفرنسي، مما يرجح الطرح القائل بأنّ (م. ب) هو (م. ب) ميشيل) هو (ميشيل أيوب).

مما سبق يكاد يتحقق ظني بأنّ (م. ب) هو (ميشيل أيوب)، وقد رمز لاسمه بالحرف الأول (م) من ميشيل وبالحرف الأخير (ب) من أيوب. ولا أرى سبباً لعدم كتابة اسمه على مقالاته النقدية سوى تقليده لبعض كتاب الغرب الذين يخفون أسماءهم رغبة منهم في إعلاء قدر الموضوع المنشور على مؤلفه.

ثالثاً- لماذا كتب م. ب هذه المقالات؟

في رأيي أنّ م. ب كتب هذه المقالات النقدية لأغراض عديدة، منها: رغبته في إطلاع القراء على مناهج النقد الحديثة في أوروبا؛ كي تتمكن من نقد تراثنا الأدبي بطريقة علمية حديثة، "وليس يستغني الباحث في آثار الأقدمين عن الاستنارة بالعلوم الحديثة واتخاذ أساليبها"^(٢٥)؛ لأننا نجهل النقد الحديث وقواعده أو نتعامى "عنه ونحن في أشد الاحتياج إليه، نحتاج إليه لإخراج الآثار الأدبية والعلمية التي خلفها لنا آباؤنا وخلدت ذكرهم بين الأمم"^(٢٦).

ومنها حث النقاد العرب على دراسة تراث الأدب العربي، دون غيرهم من الباحثين، ويرى أنه من العيب علينا أن نترك آثارنا الأدبية والعلمية التي خلفها لنا آباؤنا، وخلدت ذكرهم بين الأمم، فلا يليق بنا أن نهملها ونتركها إلى غيرنا ممن لا يتكلمون بلساننا، كأننا غير أحياء،

فكلفهم فحصها وإبرازها لنا، فهل هنالك ما يمنعنا من اتباع خطة رشيدة في البحث والتمحيص؟" (٢٧).

وهنا يُدرك م. ب الخطر الذي يؤدي إلى ضياع تراثنا الأدبي، وهو جهلنا بطرق النقد الحديث، ويتساءل: "أليس عاراً علينا أن يشتغل المستشرقون في علوم العرب ونحن غافلون عنها؟ إنَّ الأجيال القادمة لا تغفر لنا تقصيرنا في إظهار الأسرار المدفونة طي كتب العرب، وسيكون جرماً مضاعفاً؛ لأنه كلما مرت الأيام زادت صعوبة البحث في تلك الكتب؛ وقد تأتي ساعة لن يتيسر فيها فحصها، فيجب علينا أن نتدارك ذلك الخطر، ولتتبرأ أولو الألباب ويعملوا على ما فيه من إبراز تلك الكنوز المكنونة، وإظهارها إلى عالم الوجود" (٢٨).

ومنها الاطلاع على تاريخ تطور النقد في بلاد الإفرنج للإفادة منه، "ولكننا قد لا نجني مباشرة من البحث في تاريخ ذلك التطور فائدة محسوسة، تعيننا على درس آدابنا، إلا أنه لا بد لنا من أن نعرف كيف تطور هذا العلم؛ حتى نلتمَّ به إلماماً؛ وندرك مراميهِ البعيدة، ثم نقف على أغراضه الحقيقية، فنحیی في مداركنا ملكة النقد بعد أن كادت تموت بالترك والإهمال، ولا سيما أنَّ النقد علم مستحدث لم يطرقة كتابنا بعد، ولم يُعنَ أحد العناية الكافية بنقله عن الإفرنج" (٢٩).

ويطلب م. ب من ناقد الأدب العربي -بعد أن يتسلح بطرق العلم الحديثة- "أن يطرح ما قد رسخ في ذهنه جانباً من المذاهب القديمة والعقائد الموروثة للسير إلى الأمام بقدّم ثابتة وعزيمة لا تكل. فإنَّ تلك المذاهب

والعقائد حجر عثرة في سبيل التقدم"^(٣٠)؛ لأنّ العلوم الأوربية لم تتقدم
"إلا بعد أن استقل علماء أوروبا في الرأي عمن سبقوهم، ونهجوا منهجاً
جديداً ليس الغرض منه إلا إظهار الحقيقة كما هي"^(٣١).

وهنا يبدو تأثير م. ب بفكر الناقد والفيلسوف الفرنسي ديكارت
Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠م) الذي يطلب من الباحث قبل الشروع
في موضوع بحثه أن يتجرّد من المعلومات السابقة، ويقوم بتفريغ ذهنه من
أيّ معارف أو نظريات أو قضايا مُسلّم بها؛ لأننا علمنا عن طريق الحواس
أشياء، وتوهمنا أنها حقائق ثابتة مع العلم أنها غير ذلك؛ لأنّ الحواس
خداعة في بعض الأحيان، ويقول ديكارت عن نفسه: "كل ما تلقينته حتى
اليوم وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها قد اكتسبته من الحواس أو
بواسطة الحواس، غير أنني جربت هذه الحواس في بعض الأحيان فوجدتها
خداعة"^(٣٢).

جدير بالذكر أنّ ديكارت يقول في القاعدة الأولى^(٣٣) من منهجه: يجب
"ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق، ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك، بمعنى أن
أتجنب بعناية التهور، والسبق إلى الحكم، وألا أدخل في أحكامي إلا ما
يتمثل أمام عقلي في جلاء وتمييز، بحيث لا يكون لديّ أيّ مجال لوضعه
موضع الشك"^(٣٤).

ومنها أنه ينبّه إلى ابتغاء إظهار الحق في النقد بالطرق الحديثة، ويطلب
من النقاد العرب فحص هذه الطرق؛ كي نأخذ منها ما يناسبنا، كما
يطلب منهم عدم التعصب للقديم لأنه قديم، وعدم التعصب على

الحديث لأنه حديث، ويقول عن نفسه: «لسنا ممن يقولون إن كل مستحدث جميل، ولكننا نرى أنه ينبغي للعاقل ألا يقابل كل جديد بالعداء والاستهزاء، بل عليه أن يفحصه بلا أغراض، فإن كان حسناً قبله وإلا رمى به، فإن الإصرار على القديم في كل شيء من دواعي التقهقر، وفي جمود العقل وتصلبه موت أكيد»^(٣٥).

[٢] نظرية م. ب النقدية

قدّم م. ب نظرية نقدية أو طريقة في النقد تقوم على عناصر ثلاثة هي: التشريح والحكم والترتيب. ويطلب ممن يريد أن ينتقد أيّ كتاب في الأدب «أن يبدأ بفهمه ودرسه جيّداً وتشريحه تشريحاً وافياً؛ حتى يتيسّر له الحكم عليه، ولا بد من مطالعة الكتب الكثيرة في الموضوع نفسه لتقرير مكانه بينها ووضعها في الصف الأول أو الثاني أو الثالث»^(٣٦). ويرى أنه يمكن تطبيق قواعد هذه النظرية على الأدب العربي، والإفادة منها^(٣٧).

ثم أخذ يشرح عناصر نظريته النقدية، وبدأ بتوضيح العنصر الأول قائلاً: «إنّ التشريح الصحيح في عرف علماء النقد الحديث هو - فضلاً عن التفسير السطحي - إيضاح مركز الكتاب المنتقد في تاريخ الآداب، وفحصه من حيث القواعد الخاصة بموضوعه، وبيان علاقته بالزمن الذي صدر فيه، والصلة بينه وبين الكاتب والوسط الذي عاش فيه»^(٣٨). ويرى م. ب أنّ "أول ما يجب معرفته: حياة الكاتب، والزمن الذي عاش فيه، والأمة أو القبيلة التي ينتمي إليها، والعائلة التي ربّي في أحضانها، هل كانت في عسر أو يسر؟"^(٣٩).

وهذا الكلام من م. ب يُبين تأثره بالناقد والفيلسوف الفرنسي تين Taine (١٨٢٨-١٨٩٢م) "الذي كان مُنظراً للأدب من العلوم الطبيعية، وكانت نيته أو قصده بصفة عامة أن يجعل الأدب علماً"^(٤٠)، فقد كان أحد أساتذة الفكر في فرنسا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وكان معجباً بالإنجليز، وشرح أدبهم بدقة وبمنطقية^(٤١). وكتب عنهم كتابه الشهير: تاريخ الأدب الإنجليزي عام ١٨٦٣م، وضمَّنه عناصر منهجه النقدي الذي يقول بأنَّ أيَّ عمل أدبي يخضع لعوامل ثلاثة هي: الجنس La race والوسط Le milieu والزمن Le moment. وشرح العامل الأول قائلاً: "ما نطلق عليه الجنس هو هذه الاستعدادات الفطرية والوراثية التي يحملها الإنسان في حياته"^(٤٢). ثم قال تين عن الوسط: " يجب أن نضع في الاعتبار الوسط الذي يعيش فيه الإنسان؛ لأنه ليس وحده في العالم، فالطبيعة تحتويه والآخرون يحيطون به"^(٤٣). ويبيِّن تين أنَّ للوسط أثراً كبيراً في سلوك الأجناس البشرية؛ لأنَّ الاختلاف الذي يظهر بين الأجناس الألمانية من جانب والأجناس الإغريقية واللاتينية من جانب آخر يحدث بسبب اختلاف المناطق التي أقامت فيها هذه الأجناس، أقام فريق منهم في البلاد الباردة الرطبة، وفي أعماق غابات كثيفة بها مستنقعات، وعلى شواطئ محيط موحش، وهم منعزلون في إحساسات كثيفة أو مقهورة، ويعكفون على إدمان الخمر والإفراط في الطعام والميل إلى الحياة الحربية والضارة. والآخرون على العكس من ذلك، أقاموا في بيئة جميلة المناظر، وعلى شواطئ بحر مضيء وباسم يدفعهم إلى الإبحار

والتجارة"^(٤٤). وإلى أشياء أخرى، مثل: "تطور فن الحديث وموهبة الاستماع والابتكار في العلوم والآداب والفنون"^(٤٥).

وللوسط والعصر أثر قويّ في فكر م. ب النقدي، "فبعد الوقوف على حياة الكاتب، ينبغي درس الوسط الذي عاش فيه وتيار الأفكار في زمانه وحالة العلوم والفنون. فإن الكاتب مهما يقلّ ويفعل فإنه لا يتدع إلا القليل وإنما الأكثر من فعل عصره ومعاصريه؛ فإن كثيراً من آرائنا وأفكارنا ليس إلا مقتبساً من غيرنا، وقد يحصل هذا الاقتباس بدون أن نشعر به، فنظن أننا مبتكرون، وإنما نحن مجارون"^(٤٦).

وقد تحدّث تين عن الزمن أو العصر أو الأوان Le moment ويرى أنّ له تأثيراً قوياً على الإنسان وفكره ومفاهيمه، وتختلف المفاهيم باختلاف الزمن، فقد كان النموذج المثالي للإنسان في العصور الوسطى هو الفارس والكاهن، بينما كان نموذج رجل البلاط والمتحدث الجميل هو نموذج العصر الكلاسيكي^(٤٧).

والعنصر الثاني في نظرية م. ب النقدي هو (الحكم) الذي يأتي نتيجة طبيعية للتشريح، ويضع م. ب شروطاً للناقد الذي يقوم بالحكم؛ كي يكون حكمه عادلاً صادقاً، هي "أن يطرح ميوله الشخصية جانباً، وأن يُحكّم عقله لا هواه، وأن يتبع في نقده القواعد والقوانين الصحيحة والمبادئ التي وضعها الذوق السليم أساساً للنقد"^(٤٨). ويطلب م. ب من الناقد عند حكمه على العمل الأدبي "أن يضع نفسه محل الكاتب الذي ينتقده؛ ليمتحن أخلاقه وميزاته ومواهبه، ويفرض أنه هو... يعيش عيشته

في وسطه وزمانه ومكانه ؛ حتى يعرفه تمام المعرفة ؛ ويحكم عليه حكماً لا غرض له فيه سوى إظهار الحقيقة"^(٤٩) ؛ لأنّ أفضل صفة في الناقد -في رأي م. ب- ألا تكون له رغبة في نوع مخصوص من أنواع الفن ولا طريقة مخصوصة من طرق التأليف ، "فلا يجعل ميله إلى الدراما"^(٥٠) مثلاً وسيلة للحط من قدر الكوميديا ، ولا يدع حبه لشكسبير سبباً للتعريض براسين"^(٥١) .

بقي العنصر الثالث من نظرية م. ب النقدية وهو (الترتيب) ، فإنه يأتي نتيجة للعنصر الثاني وهو (الحكم) الذي كان بدوره نتيجة للعنصر الأول وهو (التشريح) ، وهذه العناصر منطقية ، وهي التي تكون نظريته التي يقبلها العقل. وعرف م. ب (الترتيب) بأنه "تعيين المركز الملائم للكتاب الذي شرحه الناقد وحكم عليه ، فقد تقرأ أشعار امرئ القيس وأبي تمام وابن الفارض ، فالأرجح في أنّ الذوق السليم يجعلك تضع امرأ القيس في المقام الأول والطائي في المقام الثاني وابن الفارض في المقام الثالث"^(٥٢) . ولكي يكون الترتيب صحيحاً يجب أن تكون هناك مقارنة بين الموضوعات التي نريد ترتيبها ، "فمعرفة الشيء لا تكون إلا بالمقارنة ، والمقارنة تؤدي إلى الترتيب. إنّ معلّقة امرئ القيس جميلة وقصائد أبي تمام جميلة أيضاً ، وكذلك شعر ابن الفارض ، ولكنك قد^(٥٣) فضّلت الأول على الثاني والثاني على الثالث ، إلا أنّ شعر أبي تمام كان يظهر لك أجمل مما هو لو لم يكن هناك شعر أحسن منه"^(٥٤) .

لقد تأثر م. ب في نظريته النقدية هذه بثلاثة نقّاد: الأول والثاني فرنسيان هما (تين Taine) و(سانت بييف Beuve-Sainte)، والثالث عربي هو قسطاكي الحمصي.

نجد أثر الناقد الأول: تين Taine في م. ب واضحاً جلياً في العنصر الأول من نظرية م. ب وهو (التشريح) الذي يقوم على أثر الجنس والوسط والزمن في العمل الأدبي، وهنا قد جاء م. ب بمنهج تين النقدي كاملاً وجعله أول عناصر نظريته. وقد أقرّ م. ب بذلك عندما قال في مقاله الثامنة: «ويجدر بنا أن نشير إلى أنّ قواعد النقد التي بسطناها في المقالة الأولى مبنية على آراء تين Taine»^(٥٥).

ورغم أنّ م. ب قام بشرح منهج تين النقدي وقدم اعتراضاته عليه وانتقاداته له، إلا أنه كان مفتوناً بهذا الناقد الفرنسي وبمنهجه النقدي - مثل بعض النقّاد العرب- والدليل على ذلك أنه جعل من منهج تين النقدي أساساً للنظرية النقدية التي قدّمها للقراء على صفحات مجلة "الهلال"، ونسبَ إلى تين الفضل في تقدّم النقد الحديث والارتقاء بذوق وثقافة الأدباء في قوله: «معظم الفضل في النقد الحديث راجع إلى هيوليت تين. وقد كان يكفي للناقد قبل ذلك أن يكون ذا ذوق سليم وعقل راجح، ثم أصبح مضطراً أن يتلقن العلوم الطبيعية والفلسفية، وأن يلمّ في الوقت نفسه بالأدب الأجنبية وتاريخها، ويجب أيضاً أن تتوافر فيه جميع الشروط الأخرى من موهبة غريزية للنقد وإرادة شديدة تنحاز إلى عقله الراجح دون عواطفه المتقلّبة وأهوائه الخداعة»^(٥٦).

والناقد الثاني الذي اعتمد عليه م. ب هو سانت بييف Sainte-Beuve الذي كان رائداً في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على الأدب ؛ لأنه درس العقل البشري دراسة التاريخ الطبيعي^(٥٧). وكانت دراسته للأدباء تتكون من شقيين ، الشق الأول : دراسة شخصيات الأدباء دراسة تفصيلية ؛ لمعرفة ما يتفرد به كل منهم ، وما يشترك فيه كل أديب مع الآخرين ، ومن هذه الدراسة التفصيلية أنه كان يتتبع الأديب "ويرافقه في منزله وحياته الخاصة... ويتجسس عليه ؛ ليقف على أسراره النفسية وعواطفه وميوله ، ويعرف منه الخبيث والطيب وعلو النفس وانحطاطها وعقله وفكره وأهواءه"^(٥٨) ، لأنه يؤمن بأنّ لنفس الأديب ومزاجه أثراً في إنتاجه الأدبي^(٥٩) ، وهو بهذا كان "أول من جعل النقد الأدبي وسيلة من وسائل علم النفس"^(٦٠). وبعد دراسة وتتبع حياة الأديب يأتي الشق الآخر من دراسة سانت بييف وهو تصنيف الأدباء في فصائل متجانسة.

وقد تأثر م. ب بكلام سانت بييف السابق عند توضيحه لمهام النقد وطلبه معرفة حياة الأديب في جميع أطوارها : "هل بسّمت له الحياة في حدائته ، وهل صفا له الدهر أو عبس ، وكيف كانت تربيته المنزلية ، وأين تلقى علومه ، وعلى من ، وكيف عاش وكيف أحب وكم تورّع وتخشع ، وهل أحب الحياة أو كرهها ، وهل ساح في غير بلاده ، وما اكتسبه من اختبار وحنكة؟. ثم ينبغي فحص أطواره وأخلاقه وغرائزه ، وبنيته : هل كانت صحيحة أو ضئيلة؟ ، فإنّ لصحة الإنسان تأثيراً بيناً في أخلاقه وكتاباتة"^(٦١).

جدير بالذكر أنّ الناقد أحمد الشايب في كتابه: "أصول النقد الأدبي" عقد فصلاً عن مناهج الأدب تحت عنوان: كيف ندرس الأدب؟ وعدد منها ثلاثة مناهج: التاريخي والشخصي والنقدي، وفي المنهج الشخصي طلب من دارس الأدب- مثل ما طلب سانت بييف و م. ب- "أن يعود الباحث بما يُتاح له من الوسائل إلى الأديب، فيدرس سيرته منذ الطفولة"^(٦٢).

أمّا الناقد الثالث الذي تأثر به م. ب في وضع قواعد نظريته النقدية فهو قسطاكي الحمصي الذي سبق م. ب بعشر سنوات، وقدم نظرية نقدية مشابهة في أركانها لأركان نظرية م. ب، وهي تقوم أيضاً على ثلاث درجات تُكوّن ما يُسمّى (بالسلم النقدي). ولا يستطيع الناقد أن يُعطي حكماً إلا إذا صعد مرتقياً على هذا السلم النقدي، يقول قسطاكي الحمصي: «اعلم أنه يتحصل مما أجمع عليه علماء النقد في هذا العصر أنه لا يمكن الوصول إلى سديد النقد إلا بارتقاء درجاته الثلاث وهي: الشرح والتبويب والحكم»^(٦٣). ومن ينظر في عناصر نظرية م. ب وهو: التشريح والحكم والترتيب، وعناصر نظرية قسطاكي الحمصي وهي: الشرح والتبويب والحكم، لا يجد فرقاً إلا في ترتيب العنصرين الثاني والثالث، ويتأكد من تطابق النظريتين ومن إفادة م. ب (اللاحق) من فكر قسطاكي الحمصي (السابق). جدير بالذكر أنّ قسطاكي الحمصي قد تأثر هو الآخر مثل م. ب في نظريته النقدية السالفة الذكر بكل من سانت بييف وتين.

لقد اجتهد م. ب في وقت مبكر -أي أثناء عامي ١٩١٦، ١٩١٧م- وحاول صياغة ما قرأه في الفكر النقدي الغربي في ثوب نظرية نقدية قدّمها للقرّاء والنقاد العرب.

(للبحث صلة)

الهوامش:

- ❖ جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.
- (١) رينيه ديكرت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، ط القاهرة، المطبعة السلفية سنة ١٩٣٠م، من مقدمة المترجم ص: س د.
- (٢) محرر الهلال: تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب لروحي بك الخالدي، عدد مارس سنة ١٩١٢م، ج ٦ السنة ٥، ص ٣٧٥.
- (٣) قسطاكي الحمصي: منهل الوراد في علم الانتقاد، ج ٢، ط القاهرة - الفجالة، مطبعة الأخبار، سنة ١٩٠٧م، ص ٢٣٢.
- (٤) انظر: الدكتور محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، ط القاهرة، دار المعارف سنة ١٩٧٧م، ج ١ ص ٦٦.
- (٥) ميشيل أيوب: مقال (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٧م، ج ٣، السنة ٢٦، ص ٢٥٦.
- (٦) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣، السنة ٢٥، ص ٢٣٠.
- (٧) ميشيل أيوب: مقال (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٧م، ج ٣، السنة ٢٦، ص ٢٥٦.
- (٨) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة ٢٥ ص ٢٣٤.
- (٩) ميشيل أيوب: مقال (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٧م، ج ٣ السنة ٢٦، ص ٢٥٨.

- (١٠) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد فبراير سنة ١٩١٧م، ج ٥ السنة ٢٥، ص ٣٩٨.
- (١١) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد يناير سنة ١٩١٧م، ج ٤ السنة ٢٥، ص ٣١٦.
- (١٢) نفسه: ص ٣١٦، ٣١٧.
- (١٣) ميشيل أيوب: مقال (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج)، الهلال، عدد ديسمبر سنة ١٩١٧م، ج ٣ السنة ٢٦، ص ٢٥٧.
- (١٤) م. ب: مقال (بحث في النقد - النقد في فرنسا)، الهلال عدد أبريل سنة ١٩١٧م، ج ٧ السنة ٢٥، ص ٥٥٣.
- (١٥) ميشيل أيوب: المقال السابق، ص ٢٥٧.
- (١٦) م. ب: المقال السابق، ص ٥٥٣.
- (١٧) ميشيل أيوب: المقال السابق، ص ٢٥٧.
- (١٨) م. ب: المقال السابق، ص ٥٥٣.
- (١٩) ميشيل أيوب: المقال السابق، ص ٢٥٩.
- (٢٠) م. ب: المقال السابق، ص ٥٥٥.
- (٢١) ميشيل أيوب: المقال السابق، ص ٢٥٩.
- (٢٢) م. ب: المقال السابق، ص ٥٥٣.
- (٢٣) انظر: م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣، السنة ٢٥، ص ٢٣٢، ومقال (بحث في النقد - النقد في فرنسا)، الهلال عدد مايو سنة ١٩١٧م، ج ٨ السنة ٢٥، ص ٦٦٤. وانظر: ميشيل أيوب: مقال (النقد عند العرب ومقارنته بالنقد عند الإفرنج)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٧م، ج ٣ السنة ٢٦، ص ٢٦٢.
- (٢٤) م. ب ميشيل: مقال (الفولكلور في نهاية الأرب للنويري)، تقديم وترجمة: حلمي شعراوي، فصول، عدد خريف سنة ١٩٩٣م، ص ٢٦٠.

(٢٥) م.ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد يناير سنة ١٩١٧م، ج ٤ السنة ٢٥، ص ٣١٥.

(٢٦) نفسه: ص ٣١٤.

(٢٧) نفسه: ص ٣١٤.

(٢٨) نفسه: ص ٣١٤.

(٢٩) نفسه: ص ٣١٤.

(٣٠) نفسه: ص ٣١٥.

(٣١) نفسه: ص ٣١٥.

(٣٢) رينيه ديكرت: التأمّلات في الفلسفة الأولى، ترجمة الدكتور عثمان أمين، ط القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص ٧٢، ٧٣.

(٣٣) منهج ديكرت في الشك يقوم على قواعد أربع، القاعدة الأولى: التيقن من المعلومات قبل صدور الأحكام، والثانية تقسيم الأعضاء إلى أجزاء قدر المستطاع، والثالثة: أن أسير أفكاره متدرّجاً وبادئاً بالأسهل ثم الأصبغ، والرابعة: عمل إحصائيات ومراجعات شاملة كي لا أغفل شيئاً.

(٣٤) رينيه ديكرت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيرى، سبق ذكره، ص ٣٠، ٣١.

(٣٥) م.ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد يناير سنة ١٩١٧م، ج ٤ السنة ٢٥، ص ٣١٥.

(٣٦) م.ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة ٢ ص ٢٣٤.

(٣٧) انظر: م.ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد يناير سنة ١٩١٧م، ج ٤ السنة ٢٥، ص ٣١٤.

(٣٨) م.ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة ٢٥ ص ٢٣٤.

(٣٩) نفسه: ص ٢٣٤، ٢٣٥.

- Lanson, Gustave: Histoire de la littérature française, Paris, (٤٠)
Hachette. ١٩٨٢. p. ١٠٤٣.

- Encyclopédia universalis, corpus ١٧, Paris ١٩٨٤. p. ٦٤٨. (٤١)

- Taine, H. A.: Histoire de la littérature anglaise, Paris, (٤٢)

- Ibid., P. ٢٥. (٤٣) Hachette, ١٩١١. P.٢٢.

- Ibid., P. ٢٥. (٤٤)

- Ibid., P. ٢٥. (٤٥)

(٤٦) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة
٢٥، ص ٢٣٥.

- Taine, H. A.: Histoire de la littérature anglaise, P.٢٨, ٢٩. (٤٧)

(٤٨) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة
٢٥، ص ٢٣٦.

(٤٩) نفسه: ص ٢٣٦.

(٥٠) هنا يقصد م. ب بالدراما (التراجيديا)، لأنّ الدراما كلمة لاتينية تعني (الفعل -
Action).

(٥١) نفسه: ص ٢٣٦.

(٥٢) نفسه: ص ٢٣٦.

(٥٣) في رأيي أنّ م. ب يقصد هنا الاحتمال وليس التأكيد.

(٥٤) نفسه: ص ٢٣٦.

(٥٥) م. ب: مقال (بحث في النقد - النقد في فرنسا)، الهلال عدد يوليو سنة ١٩١٧م،
ج ١٠ السنة ٢٥، ص ٨٤٠.

- (٥٦) نفسه: ص ٨٤٤.
- (٥٧) - Plinval, G. DE: Histoire de la littérature française, Paris, ١٩٣٠. P. ٢٢٥.
- (٥٨) الدكتور أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب، ط القاهرة، ط أولى مطبعة السفور سنة ١٩٢١م، ص ١١٧.
- (٥٩) انظر: الدكتور طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط القاهرة، دار المعارف سنة ١٩٧٥ م، ص ٤٣.
- (٦٠) الدكتور أحمد ضيف: السابق، ص ١١٦.
- (٦١) م. ب: مقال (بحث في النقد)، الهلال عدد ديسمبر سنة ١٩١٦م، ج ٣ السنة ٢٥، ص ٢٣٥.
- (٦٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ط القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٠ سنة ١٩٩٤م، ص ٩٩.
- (٦٣) قسطاكي الحمصي: منهل الوراد في علم الانتقاد، ج ١، ط القاهرة، مطبعة الأخبار بالفجالة سنة ١٩٠٧م، ص ١٣٤.

صلة السلطة بالقبائل في العصور العباسية المتأخرة:

البصرة والبحرين أنموذجاً ٣٠٠-٦٥٦ هـ/٩١٣-١٢٥٨م

قراءة في المشهد القبلي - ١ -

بقلم: د. عبداللطيف ناصر الحميدان

توطئة:

بداية من الخطأ النظر إلى انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس على أنه لا يعدو سوى كونه انتقال الخلافة من أسرة عربية إلى أخرى، ومن قطر عربي إلى آخر فحسب. في حين أن الأمر أبعد من ذلك وأعمق. إذ إنه انتقال من فضاء جغرافي إلى آخر، ومن محيط حضاري إلى آخر. وبعبارة أوضح من عوالم البحر المتوسط إلى عوالم المحيط الهندي، وأن فرضية المؤرخ الفرنسي Jen Sauvaget، الواسعة الانتشار مع الأسف بين المؤرخين، والتي ترى أن تاريخ العالم الإسلامي يقتصر على الأقطار العربية المطلة على البحر المتوسط والمتأثرة بتلك العوالم، في حين تتجاهل عن قصد الأقطار المطلة على البحر الأحمر والخليج العربي المرتبطة بشكل وثيق بالمحيط الهندي، فأضحت اليوم تلك الفرضية تتعرض لانتقادات

شديدة من قبل المؤرخين^(١). فانتقال مركز الخلافة إلى بغداد أصبح معرضاً لتأثيرات ثقافية وعرقية شديدة ولتيارات قوية من جهات مختلفة. فانفتاح العراق جغرافياً على أقاليم إيران وبلاد ما وراء النهر، ثم جزيرة العرب والخليج العربي المتصلة بسواحل الهند وأفريقيا كان ذا أثر كبير على الوضع البشري والثقافي والاقتصادي والسياسي فيه فانتعشت الحركة الثقافية والتجارية ومثل ذلك النشاط الزراعي إلى حد كبير^(٢).

وغني عن القول بأنّ العباسيين وصلوا إلى السلطة بدعم قوي من الخراسانيين فكان طبيعياً أن يصبح للفرس دور في بناء السلطة الجديدة وأن يكونوا أحد أسس ركائزها. إلا أنّ الخلفاء العباسيين كانوا منذ البداية تساورهم المخاوف من القادة الفرس الذين لعبوا أدواراً مهمة في وصولهم للسلطة. وازدادت مخاوفهم أكثر عندما شعروا بتعاظم نفوذهم، فأخذوا في إبعادهم عن مراكز القرار السياسي، بل ونكّلوا بهم، فكان لذلك آثار بعيدة. كما عمل العباسيون على موازنة ذلك عن طريق الإكثار من غلمان الترك عن طريق الشراء ليكونوا في خدمتهم وحراستهم نظراً لاطمئنانهم لولايتهم. لذا لم تمض سوى بضعة عقود حتى غدوا القوة الأساسية في الجيش العباسي مما دعا العباسيين إلى إبعاد العنصر العربي عن الجيش وإسقاطهم من ديوان العطاء^(٣) فكان قراراً خطيراً قوّض الأسس التي قامت عليها دعائم دولة بني العباس من الفرس والعرب، لذا أبعادوا وابتعدوا عن مراكز القرار. وإذا ما كان الخليفة الأموي أشبه ما

يكون برئيس للقبائل يستمد سلطته من رؤسائها فإن الخليفة العباسي كان قد ادعى أنه يستمد سلطته من رضى الله تعالى فحسب^(٤).

على أي حال إنّ دراستنا ستتركز حول الصلة بين السلطة في بغداد والقبائل العربية خاصة في تخوم البصرة والبحرين وفضائهما خلال الحقبة العباسية المتأخرة، والتي اتسم معظمها بضعف الخلافة إلى درجة كبيرة، وهيمنة الأمراء الترك والديلمة والسلاجقة الأتراك على مقاليد السلطة في البلاد واستهتارهم بالعباد، والعرب منهم على وجه الخصوص.

- صلة السلطة بالقبائل في فترة الهيمنة البويهية :

إنّ انتقال السلطة الحقيقية من الخلفاء العباسيين إلى أيدي المماليك الأتراك، ثم إلى أيدي الأمراء البويهيين الديلمة يصلح لأن يكون منطلقاً لدراستنا. إذ رافق ذلك ظهور حركة القرامطة في بلاد البحرين التي نجحت بفضل التفاف قبائل البادية في بلاد البحرين واليمامة الساخطة أساساً على بني العباس وكون البصرة، ومواني شمال الخليج أحد أهدافها الرئيسية للحصول على ما هم بأمر الحاجة إليه من غذاء ومؤن.

ومن الملفت للنظر إنّ ثور بن ثور زعيم بني كلاب، أحد أهم قبائل بادية البحرين، كان الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) قد كلفه بالقضاء على الثورة الإباضية في عمان، والذي أطلق عليه العمانيون اسم بور لقسوته، وعندما نجح في ذلك وسيطر على قسم كبير من بلادهم، انقلب على السلطة العباسية، وانضم إلى القرامطة حين ظهورهم في بلاد

البحرين ليصبح أبرز قادتهم. حيث وصفه ابن حوقل بقوله : إنه صاحب جيشهم وسراياهم في كل مكان^(٥). وكان حديثه عنه وقد تجاوز المائة عام من عمره.

على أي حال كانت البصرة من أول الأهداف في هجماتهم والتي كان يرافقها النهب والسلب والقتل والترويع والتدمير وقد أوقفت تجارتها التي كانت رائجة في نقاط تحركاتها على طول سواحل الخليج العربي. ثم امتدت هجماتهم لتشمل الكوفة وسقي الفرات ، وقوافل الحجاج حتى وصلت إلى الحرم المكي أثناء موسم الحج فارتكبوا مجزرة في داخله واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة^(٦). فكان عملاً صادمًا بقوة لمشاعر المسلمين ولهيبة خليفتهم في بغداد ، الذي لم يجد له من سبيل سوى إرضائهم بدفع من الأمراء الترك ، فأرسل الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) بمبعوثه إلى أبي طاهر سليمان القرمطي سنة ٣٢٢هـ ، يدعو إلى الطاعة ليقره على ما بيده من البلاد ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان على أن يكف عن الحجاج جميعاً وأن يردّ الحجر الأسود إلى موضعه بمكة. فوافق أبو طاهر على عدم التعرض للحجاج. وطلب من الخليفة أن يطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر^(٧).

ويضيف القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي المتوفى في حدود سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م بالقول : "إنّ أبا طاهر طلب من الخليفة مالاً يعطيه لخدمه ويبدرك الحاج (يخفّره) ففعل الراضي ذلك وأعطاه مالاً معلوماً

فقال أبو طاهر: هذا أريح لي آخذ هذا المال وأعطي بعض أصحابي وأعواني وأفوز ببعض"^(٨). ثم يصف القاضي حكم الراضي بقوله: "وهو أول من زالت دولة بني العباس على يده، وأخذت الأموال منه وأجرى له مقدار الكفاية، وزال أمره عن تدبير الجند وعن الولايات. وهو أول من حجر عليه منهم، في أن يستخدمه في بذرة الحاج بشيء يعطيه"^(٩). أما ابن خلدون فيعلق على ذلك بقوله: إنَّ أبا طاهر القرمطي "أخذ المكس من الحاج ولم يعهد بمثله في الإسلام"^(١٠).

ومما تجدر الإشارة إليه الحوار الذي دار بين علي بن مقاتل، أحد رجال الدولة العباسية وبين أبي طاهر القرمطي. فقد أنكر الأخير ما كان يقوم به ضد الحجاج قائلاً: ما جرى ليس باختيارى، وأنَّ البوادي كانت تقتات عليه ولا تعطيه، وأنَّ السلطان قصر في أمره، وقد كان ينبغي له أن يعرف مكانه ويعطيه ما يرضي البوادي"^(١١).

وهنا يظهر الدور الفاعل لقبائل البادية في حركة القرامطة، وأثر قطع الأعطيات عنهم في ذلك. كما أنه يظهر دور الحفارة أو الحماية والتي كان معمولاً بها قبل الإسلام في معيشة أهل البوادي. وهو ما سوف نتحدث عن تطوره لاحقاً.

على أيِّ حال إنَّ دخول البويهيين في المشهد السياسي بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ووضع السلطة بين أيديهم فلم يغيروا من الموقف تجاه القرامطة إن لم يكن العكس، فقد سعوا إلى إرضائهم ولم يحاولوا مقاتلتهم. فالمقدسي عندما تحدث عن الضرائب في العراق وصفها

بأنها ثقيلة وكثيرة في النهر والبر وأن للقرامطة ديواناً على أحد أبواب البصرة والديلم لهم ديوان آخر، وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال الأعرايية. وكذلك بالكوفة وبغداد^(١٢). بل إن الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) عندما حدث خلاف شديد سنة ٣٦٠هـ بين أبناء القرمطي سعى شخصياً إلى جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم^(١٣). ويصف ابن خلدون مدى امتداد سلطة خلفاء بني العباس فيقول: "لم يبق للخلفاء إلا بغداد ونواحيها وما بين دجلة والفرات، وأمراؤهم مع هذا مستبدين عليهم إلى دولة التقي... لذلك صارت أخبارهم منذ عهد المستكفي مندرجة في أخبار بني بويه والسلاجقة من بعدهم"^(١٤). وفي ذلك إشارة إلى خروج السلطة من أيدي بني العباس لمدة جاوزت القرنين من الزمن.

وفي هذا السياق، عندما سار معز الدولة البويهى (٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٧م) ومعه الخليفة المطيع لله إلى البصرة لانتزاعها من يد أبي القاسم عبدالله البريدي سنة ٣٣٦هـ^(١٥) وسلخوا طريق البرية، أرسل القرامطة من هجر إلى معز الدولة، ينكرون عليه مسيره إلى البر بغير أمرهم وهي لهم، إلا أنه لم يأبه بتحذيرهم، بل واصل سيره حتى وصل إلى الدريهمية*. فهرب البريدي إلى هجر ملتجئاً بالقرامطة^(١٦). وهي إشارة واضحة إلى أنّ القرامطة يعتبرون بوادي البصرة امتداداً لديرتهم وتخضع لضريبة الحماية أو الخفارة.

ومما تقدم يتضح أنّ البويهيين المنغمسين في صراعاتهم وأطماعهم التي لا تنتهي سعوا منذ البداية إلى إرضاء القرامطة، ثم سعوا أخيراً لإرضاء القبائل المقيمة عند التخوم الغربية للعراق، وعند السواد وكسبهم كحماة في مواجهة القرامطة. فقد تم تخصيص مبالغ مالية لبني أسد سنة ٣٥٠هـ/٩٩١م لقاء محافظتهم على طريق الحج، كما أعطوا لبني شيبان مبالغ مالية أخرى، في الوقت الذي كان أمير الكوفة أحد زعمائهم^(١٧). ويضاف إلى ذلك إقناع بني تميم، الذين كانوا يهددون الأنبار بأن يشاركوا في مقاتلة البريدي المتمرد في البصرة، لقاء مبالغ مالية مجزية^(١٨).

ومما يلفت النظر أنّ موقف الأمير صمصام الدولة مرزبان البويهي بن عضد الدولة بن ركن الدولة من القرامطة، كان مخالفاً لمن سبقه كعضد الدولة وبختيار اللذين كانا قد أقطعا القرامطة سقي الفرات وبعض نواحي واسط، وسبب ذلك يعود، كما هو واضح، إلى أن زعماء القرامطة في عهده حين ملكوا الكوفة خطبوا لشرف الدولة المنافس له في السلطة، لذا قام بمحاربتهم سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م فقتل منهم جماعة وأسر آخرين^(١٩).

ويبدو أنّ الأمير البويهي صمصام الدولة مرزبان قد اتجه إلى القبائل عند تخوم الفرات أو في أطراف نجد لجذبها إلى جانبه وأن يكونوا في مواجهة القرامطة فكلف عليان بن ثمال الخفاجي -زعيم خفاجة- بحماية الكوفة سنة ٣٧٤هـ، وهي أول إمارة لبني ثمال. إلا أنّ ذلك لم يستمر طويلاً بعد وفاة عليان بن ثمال واختلاف أبنائه من بعده^(٢٠) ويبدو أن

الأمير صمصام الدولة كان قد كلف محمد بن المسيب أمير عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بمهمة جذب القبائل المتبدية حيث نجح في جذب قبيلة المنتفق وفارسها المشهور الأصفر أو الأصفير كما يفهم من رسالة أوردتها القلقشندي وكتبها أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي على لسان الأمير صمصام الدولة، والذي ورد فيها: "أنّ محمد بن المسيب سأل في أمركم ورغبتكم في الخدمة والانحياز في الجملة...."^(٢١). على أنّ تلك الرسالة ذات الطابع الرسمي لا تكشف عمّا دار من محادثات بين المنتفق والأمير محمد ابن المسيب، كما لم يرد فيها ذكر زعيم المنتفق أو ذكر للأصفر أو الأصفير، وإنما الوقائع التالية تشير إلى ذلك. ففي سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م قام الأصفير المنتفقي بحشد عدد كبير من العرب وتصدى للقرامطة عندما حاولوا الاقتراب من سواد الكوفة وهزمهم هزيمة قاسية وقتل قائدهم وعدداً كبيراً منهم كما أسر البعض منهم وفر الباقون إلى بلادهم الأحساء. ولم يكتف الأصفير بهذا النصر بل تعقبهم إلى عُقر دارهم في الأحساء حيث تحصنوا فيها، فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها إلى البصرة^(٢٢).

ويذكر القاضي عبد الجبار الهمداني، المعاصر للحدث، أنّ الأصفير العقيلي حاصر القرامطة في الأحساء وقتل من يخرج منهم، فهم إلى هذه الغاية ما تخرج لهم سرية خوفاً من الأصفير^(٢٣).

على أنّ المصادر لم تذكر أموراً مهمة كالمكان الذي انطلق منه الأصفير، والطريق الذي سلكه بقواته نحو الأحساء، وهل هو شيخ للمنتفق أم أحد

أبطالها، وما اسمه الحقيقي بدل من صفته الجسمانية. بل اكتفت فقط بنسبته للمتفق ولبني عقيل.

على أي حال فإن النصر الذي حققه المنتفقي العقيلي هي سابقة في تاريخ القرامطة كشفت عن ضعفهم وأدت إلى إضعافهم عندما قطع عنهم ما كان يردهم من إعطيات ومؤن من مصادر عديدة، الأمر الذي شجع زعماء كثر في بلاد البحرين للخروج عليهم.

وفي تقديرنا أنّ إضعاف القرامطة قد أدى إلى إضعاف القبائل البدوية التي كانت ركبت موجة القرامطة منذ البداية للحصول على ما يسدّ حاجاتها خصوصاً الغذاء، وبالتالي دفعها إلى الميل إلى الاستقرار والاقتراب من تخوم غرب الفرات إضافة إلى القطيف والأحساء، وعرض خدماتها للسلطة القائمة وللزراع.

على أي حال برز الأصفر كبطل شجاع يمكن الاعتماد عليه في المهمات الصعبة فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث ذي القعدة عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م أنّ الأصفر الأعرابي بذل الخدمة في تيسير الحاج صادريين وواريدين وأعاد الخطبة للخليفة من حد اليمامة والبحرين إلى الكوفة، فمُنح خلعةً ولواءً^(٢٤). فالعبارة الأخيرة تفيد بأن الأصفر أصبح يحمل رتبة أمير وامتيازات عالية بإعطائه إقطاعية، خاصة وأنه قد أعاد للخلافة بعض هيبتها، وللسلطة احترامها، في وقت كانت أحوج ما تكون إلى ذلك خاصة مع ظهور خلافة منافسة لها هي الخلافة الفاطمية بالقاهرة.

والملفت للنظر أنّ السلطة في بغداد لم تكن الوحيدة التي حرصت على إرضاء الأصفير وجلبه إلى جانبها فحسب، بل حتى السلطة الفاطمية في القاهرة سعت لذلك. فالقاضي عبد الجبار الهمداني، يذكر أنّ الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ) حين علم بما فعله الأصفر بالقرامطة، أرسل إليه بهدايا كثيرة نفيسة وحمل إليه أموالاً عظيمة، وسأله أن يرسل من يثق به فأرسل الأصفر ابن أخته إليه، فأكرمه العزيز أتم الإكرام وحمله على سرج من ذهب، وقاد بين يديه الخيول وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم، مقابل أن يقطع الخليفة الفاطمي البلدان العظيمة من أرض الشام. فأجابه الأصفر بإجابة تنم عن روح دبلوماسية عندما قال في جوابه: إني لست أجيبك إلى قبول الإقطاع بالشام إلى أن أفرغ من الأحساء وأهلها وأعرفك ما عندي^(٢٥)، أي أنه لن يقبل عطاياه إلا بعد أن يكمل مهمته في القضاء على أعدائه القرامطة في الأحساء، وبعد ذلك لكل حادث حديث.

ومن الجدير بالذكر أنّ ابن خلدون قد اختلط عليه الأمر فلم يفرق بين الأصفر المنتفقي العقيلي، وبين من يحمل الصفة نفسها الذي ظهر في الفترة نفسها في ديار ربيعة ونسب إلى تغلب وقيل الثعلبي والصحيح التغلبي. والغريب أن ابن خلدون بنى على ذلك تصورات خاطئة وقعت في بلاد البحرين^(٢٦). ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ فهد الدامغ قد سبق إلى التنبه إلى هذا الخطأ^(٢٧).

على أيّ حال إنّ وقائع عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م تشير إلى أنّ السلطة في بغداد لم تف بوعدها ولم تستمر بدفع المال للأصفر بانتظام لقاء قيامه بالخفارة، بل خدعته أحياناً ودفعت له نقوداً مزيفة، كما أنّ وقائع عام ٣٩٤هـ تشير إلى أنها لم تدفع له أية مبالغ^(٢٨). ويبدو أنّ الأمير بدر بن حاكم شهرزور الكردي حاول تلافي ذلك خشية على الحاج فقام بالتطوع بدفع ستة آلاف دينار سنوياً للأصفر عوضاً عما كان يجبي من الحجاج ابتداء من عام ٣٨٦هـ، ثم زاد المبلغ، كما يقول مسكويه، إلى تسعة آلاف دينار واستمر على ذلك حتى عام ٤٠٣هـ/١٠١٣م^(٢٩).

اختفى ذكر الأصفر ذي الكاريزما من المشهد السياسي قبيل وفاته عام ٤١٠هـ/١٠١٩-١٠٢٠م بعدة أعوام. فقد ذكر ابن الجوزي خبر وفاته في تلك السنة وعلق على ذلك بقوله: "كان يخفر الحاج وأنه انقطع الحج في ذلك العام والذي تلاه"^(٣٠). في حين أن ابن الأثير ذكر وفاته في ذلك العام، إلا أنه قال: كان يؤذي الحاج في طريقهم، ثم أضاف قائلاً: "إنّ الحج انقطع في عام عشرة وإحدى عشرة"^(٣١).

وفي تقديري أنّ المنتفق ربما انتقلوا عند مطلع القرن الخامس الهجري من مواضعهم على طريق حج الكوفة نحو الجنوب في أطراف نجد على طريق حج البصرة، كما انتقل قسم منهم نحو تخوم البصرة، ولعل قيام قبيلة خفاجة بالتعرض للحجاج عام ٤٠٢هـ وتصدي بني أسد لهم دليل على ما قلناه.

ويتضح مما سبق أنّ أمن طرق القوافل، وخاصة طرق الحج بالغ الأهمية للسلطة القائمة، وأن ارتفاع مكانة قبيلة المنتفق وشهرة قائدها الأضيفر كان قد ارتبط بحمايته أو خفارته للحجيج، كما أنّ بداية ارتفاع شأن بني أسد كان متزامناً مع تلك الفترة حيث تصدوا لقبيلة خفاجة عندما تعرضوا للحجاج كما أشرنا.

لقد انتبه ابن خلدون إلى ذلك حينما قال إن سبب ملك علي بن مزيد الأسدي وملك قومه وارتفاع ذكرهم بعد سنة ٤٠٠هـ يعود لتصديهم لخفاجة التي كانت تتعرض لقوافل الحج^(٣٢). وبعبارة أخرى فإن قيام الإمارة المزبديّة الحدودية يعود في الأساس لقيامها بحماية سقّي الكوفة والقوافل من تعديات القبائل. ويمكن أن يقال الكلام نفسه بخصوص المنتفق سواء بزعامة أسرة العقيلي أو بني معروف، إضافة إلى ما قامت به خفاجة وعبادة وبنو عامر من أدوار بهذا الخصوص. ومن الجدير بالإشارة أن امتداد نهر الفرات من أعاليه في بلاد الشام حتى مصبه، مع نهر دجلة، في الخليج العربي كان الشاهد الدائم على قيام إمارات حدودية منذ ما قبل الإسلام حتى أواخر الدولة العثمانية، ويطول إيراد الأمثلة على ذلك^(٣٣).

ولعلنا نذكر سببين لظهور الإمارات الحدودية أولاً: عجز السلطة عن حماية حدودها من قبائل البادية. وثانياً: محاولة السلطة تقليص أعبائها المالية فبدلاً من الإنفاق على قوة دائمة ترابط لحماية حدودها، لجأت بدلاً من ذلك إلى إعطاء زعماء القبائل الهبات المالية ومنحهم الرتب

والامتيازات ليتولوا تلك المسئولية بدلاً من قوات السلطة، الأمر الذي تولد عنه نتائج سياسية اقتصادية واجتماعية. فاستقرار القبائل عند تلك الحدود ينشأ عنه، مع الزمن، تغير في دور وعلاقة مشيخة القبيلة بأفرادها المتوافقة مع التقاليد القبلية فيتحول أفرادها إلى تابعين وفق الأسس الإقطاعية ويصبحون فلاحين ومزارعين مستقرين ويفقدون قابليتهم للابتعاد عن زعمائهم. كما أنّ استقرار بيت المشيخة نفسه يؤدي بأفراده إلى الاندماج مع أجهزة السلطة مما يجعلهم تابعين لتلك السلطة، مما يتيح لهم الانغماس في النزاعات التي تنشأ بين حين وآخر بين الحكام أنفسهم، خاصة إذا ما قامت مصاهرات بين الطرفين.

خلاصة الأمر أنّ نظام الحماية وما يتولد عنه من امتيازات مادية وألقاب ورتب إدارية يؤدي إلى تكوين ما أطلق عليه لاتييمور lattimore بإقطاع الحدود frontier feudallism أو ما عبر عنه بأمرء حدود البادية Lords of desert border^(٣٤) وهو كيان يتمتع، بدرجة أو بأخرى، بالاستقلال السياسي والاقتصادي والإداري^(٣٥).

صلة السلطة بالقبائل خلال الهيمنة السلجوقية:

غني عن القول إنّ دخول السلاجقة الأتراك إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وانتزاعهم السلطة ووضعها في أيديهم تمثل إحدى المراحل المفصلية ليس في تاريخ العراق فحسب بل وتاريخ المشرق

العربي.....لذا يقتضي الوقوف عندها والتأمل فيها بما له صلة بعلاقة السلطة بالقبائل خصوصاً في فضاء البصرة والبحرين .

فتجدر الإشارة إلى حدوث تغير سياسي في بلاد البحرين عند بداية هذه التحولات في المشهد السياسي. فقد قامت الثورات في بلاد البحرين ضد القرامطة واستنجد قاداتها بسلطان السلاجقة ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) الذي سرعان ما استجاب لذلك وكان يهدف إلى إخضاع تلك البلاد لسيطرته، إلا أنه سرعان ما أدرك عبدالله بن علي العيوني أقوى زعماء الثورة في البحرين غايتهم فتعامل معهم بحذر شديد بحيث لم يمكنهم من انتزاع ثمرة جهوده والغدر به وبثورته، مما اضطرهم أخيراً إلى الانسحاب من بلاده، يجرون أذيال الخيبة والخذلان^(٣٦).

لم يكن مصدر الخطر الذي واجهته ثورة العيوني الوليدة من السلاجقة وحدهم فحسب، بل ومن بني عامر أيضاً وهم حلفاء القرامطة الذين كانوا قد اعتادوا إرضاءهم بالعطايا والعوائد السنوية، إلا أنهم الآن خسروا معركتهم مع العيونيين وقُطع عنهم ما كانوا يحصلون عليه من القرامطة^(٣٧)، فضاقت عليهم العيش ولم يجدوا لهم مصدراً للرزق سوى البصرة فهاجموها في جمادى الأولى عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، بقوة قوامها عشرة آلاف مقاتل فنهبوا وأحرقوا بعض المواضع الهامة فيها ودمروها. ويشير ابن الأثير لذلك فيقول: "إنّ جملة ما أحرقوه دارين للكتب بها نفائس الكتب وأعيانها، وخرّبوا وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير. وأنّ فعل العرب في البصرة كان أول خرق جرى في أيام السلطان

ملكشاه" (٣٨). ويعني ابن الأثير بذلك أنه أول تحدٍ للسلاجقة من قبل القبائل العربية.

كما أنه دليل على أن بني عامر قد غدوا بعد ذلك سادة البادية ما بين البصرة والبحرين، وهذا ما أشار إليه الشريف الإدريسي حين قال: "ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة برّ متصل لا عمارة فيه، أي ليس فيه حصن ولا مدينة، وإنما أخصاص لقوم من العرب يسمون عامر بن ربيعة" (٣٩).

وفي هذا السياق نجد أن نفوذ بني مزيد قد برز واتسع عند سواد الكوفة ولعل قيام منصور بن مزيد الأسدي ببناء مدينة له غرب الفرات عرفت بحلة بني أسد سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م مؤشراً على قيام إمارتهم الحدودية الإقطاعية، وإقصاء قبيلة خفاجة من المنطقة بعد تعرضها للتشردم والضعف. ولقد ارتفعت مكانة بني مزيد في عهد صدقة بن منصور الذي حمل لقب "ملك العرب" وطمح في توسيع دائرة نفوذ إقطاعه خصوصاً بعد وقوفه إلى جانب السلطان محمد بن ملكشاه الثاني (٤٩٨ - ٥١٢هـ) في صراعه ضد أخيه بركيارق، حيث أقنعه بإعطائه البصرة إقطاعية له وليحميها من قبائل المنطقة. فانحدر إليها سنة ٤٩٩هـ / ١١٠٦م وانتزعها بالقوة من مقطعها إسماعيل بن أرسلانجق، ونهب محالها بحيث لم يبق منها إلا المحلة المجاورة لقبر الصحابي طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه والمربد (٤٠).

لقد أثار ما قام به صدقة الأسدي قبائل البصرة وخصوصاً المنتفق، لذا قامت بعد ستة أشهر من ذلك ومعها ربيعة، بالهجوم على مدينة البصرة

ودخولها بالقوة وأسروا وكيّل صدقة فيها وأقاموا أشهراً فيها ينهاونها، ولم يفارقوها إلا بعد أن علموا بإرسال صدقة قوة كبيرة ضدهم^(٤١).

على أنّ طموح صدقة الواسع وقوته أثارت، دون شك، مخاوف السلطان محمد السلجوقي فأخذ يسعى لتحجيمه بل والتخلص منه نهائياً. لذا نجده يرحب بقبيلة عبادة القوية التي نزحت حديثاً من أطراف نجد واقتربت من تخوم الفرات في حدود عام ٤٩٩هـ/١١٠٦م^(٤٢).

كما قام الخليفة نفسه بقيادة قوة كبيرة ضد صدقة، ضمت الحاسدين والطامحين في الممتلكات الواسعة لبني أسد. فالتقوا بصدقة في معركة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧-١١٠٨م انتهت بمقتله^(٤٣). كانت هذه الهزيمة ضربة شديدة لبني أسد حيث توالى بعدها الضربات. فقد قام الخليفة المسترشد (٥١٢-٥٢٩هـ) بنفسه بقيادة قوة ضد دُبَيْس بن صدقة أواخر عام ٥١٦هـ/١١٢٣م انتهت بتفقهقه إلى البادية ولجؤته إلى قبيلة غزية من عرب نجد المقيمة في طريق مكة، وطلب دعمها ومساعدتها إلا أنها اعتذرت عن ذلك، فيمّم وجهه نحو قبيلة المنتفق فأووه وآزروه، ولعل المنتفق عبروا بذلك عن سخطهم على العباسيين لتجاهلهم لهم وإهمالهم وعدم إرضائهم.

على أيّ حال، قصد الجميع مدينة البصرة في ربيع الأول سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م وكبسوا مشهدي طلحة والزبير، ونهبوا ما كان هناك من أموال وقتلوا خلقاً كثيراً. وهرب الجميع من البصرة حين علموا بإرسال الخليفة قوة ضدهم^(٤٤).

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون يأتي بروايتين الأولى وهي ما ذكرناها أعلاه، والثانية أنّ ديبس سار إلى المشقر من البحرين فأجابوه وسار بهم إلى البصرة فنهبوا^(٤٥). من دون أن يذكر من الذين استجابوا له في البحرين، فلعلهم بنو عامر.

على أيّ حال انتهت حياة ديبس بالقتل مثلما انتهت حياة والده صدقة على يد السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م^(٤٦). بعد أن استنفدت الحاجة إليهم، وأصبحت الحلة وسواد الكوفة إقطاعاً لمماليك الخليفة، وكلفت قبيلة خفاجة بحماية طريق الحج لقاء أعطيات وعوائد سنوية، إلا أنها قُطعت عنهم سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م، فثاروا ونهبوا السواد وقتلوا معظم العساكر التي أرسلت ضدهم ودخلوا الصحراء متجهين إلى البصرة، إلى أن صدر العفو عنهم أخيراً^(٤٧).

(للبحث صلة)

الهوامش:

❖ أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

(١) جان أوبان: هل انقطعت التجارة البحرية بين الخليج والهند ما بين القرن

١١ والقرن ١٤.

Jean Aubin: Ya-t- il eu interruption du commerce par mer entre le Golfe Persique et l'Inde du XIe au XIVe siècle.

(٢) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول (مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت ٢٠٠٦)، ٥١-٥٨.

(٣) الكندي، الولاة والقضاء (ليدن، ١٩١٢) ١٩٣٠-٩٤: الدوري المرجع السابق،

٢٣١-٢٣٣.

- (٤) الدوري. المرجع السابق ٥٤.
- (٥) ابن حوقل، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م) ٣٤٠ والاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ٢٧.
- (٦) أبو بكر محمد الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، تحقيق: ج. هيورث. دن، دار المسيرة، ط ٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، في صفحات عديدة: ابن حوقل المصدر السابق ٢٥٨-٥٩، مجموعة مؤلفين: أخبار القرامطة في الأحساء، والشام والعراق جمع وتحقيق سهيل زكار، دار حسان، ط ٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- (٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م، ج ٧/٥٣.
- (٨) ابن الأثير. المصدر السابق، ٧/١٠٥.
- (٩) أخبار القرامطة في الأحساء، ١٦٦.
- (١٠) المصدر نفسه، ١٦٧.
- (١١) تاريخ ابن خلدون، ج ٤/٩٩.
- (١٢) أخبار القرامطة في الأحساء، جمع وتحقيق سهيل زكار، مصدر سابق ١٦٧.
- (١٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي غويه (ليدن ١٩٠٦م) أعادت نشره مكتبة خياط، بيروت (ب ت)، ١٣٣-١٣٤.
- (١٤) ابن حوقل، مصدر سابق، ٣٤.
- (١٥) تاريخ ابن خلدون، ٣/٤١٥.
- (١٦) حول البريدي راجع: الصولي، أخبار الراضي بالله في صفحات عديدة. [♦]الدرهيمية: آبار مياه عذبة جنوب غربي البصرة بحوالي ٥ أميال.
- (١٧) ابن الأثير، مصدر سابق ٧/٢٢١ ابن خلدون مصدر سابق ٣/٤١٨.
- (١٨) الصولي: ما لم ينشر من أوراق الصولي، تحقيق هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٤٤-٥٦، ١٠٤، ١٣٠، ١٤٠-١٥٥، الصولي.

قطعة نادرة من كتاب الأوراق تحقيق هلال ناجي، بغداد، ١٩٩٠م، ٢/٢١٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في أخبار الأمم ٣١٠/١٤.

يقول ابن سعيد الأندلسي المغربي: "بنو أسد احتوى على بلادهم بنو عقيل". نشوة الطرب في جاهلية العرب" تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمان ١٩٨٢م) ج ٣٨٨/١.

يقول ابن سعيد حول بني تميم كانوا بأرض نجد حدها دائرة على ما والى أرض البصرة وأرض اليمامة، وامتدت إلى العذيب من أرض الكوفة. وليس لها الآن بهذه الأرض قائمة ولا بطن مشهور. وقد غلبت على أرضها قبائل قيس عيلان وقبائل طيء وتفرقت تميم في حواضر البلاد وقراها. فلا يوجد منها قبيلة في شرق ولا غرب جارية على ما هي عليه قبائل العرب من الحل والترحال بعدما كانوا كما قال أوس ابن مخرم:

لا تطلع الشمس إلا عند أولنا وليس تغرب إلا عند آخرنا

نشوة الطرب ج ٤١٥/١.

- (١٩) الصولي، أخبار الرازي بالله، ١٤٨.
- (٢٠) سهيل زكار، مصدر سابق، ٣٨٨-٨٩: ابن الجوزي المنتظم، ٣١٠/١٤.
- (٢١) ابن الأثير، المصدر السابق، ٤١٨/٧.
- (٢٢) القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، ج ٣٣٧/٣ نص الرسالة في الملحق.
- (٢٣) ابن الأثير، الكامل، ٤٤٨/٧، ٣١/٨.
- (٢٤) سهيل زكار، المصدر السابق، ١٩١.
- (٢٥) المنتظم، ٣٦٣/١٣.
- (٢٦) تاريخ ابن خلدون، ١٠٠/٤.
- (٢٧) راجع: أثر القوى القبلية في سقوط القرامطة مجلة الخليج للتاريخ والآثار، الرياض العدد ٢٧، سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ١٠٧-١٧٨ خصوصاً الصفحات ١١٧، ١٣٢.
- (٢٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ٣١/٨.

(٢٩) تجارب الأمم مع الذيل والملحق، تحقيق أبو القاسم الإمامي، طهران، ٢٠٠٠م،
٣٣٩/٧.

(٣٠) المنتظم، المصدر السابق، ج١٥/١٣٤، ١٤٥.

(٣١) الكامل، ٢٨/٨، ١٢٧-١٣٥.

(٣٢) حول تعرض خفاجة لقافلة الحج سنة ٤٠٢هـ، راجع ابن الأثير ٧٣/٨، ابن
خلدون ١٠٠/٤

(٣٣) مثال على ذلك إمارة الحيرة، ثم إمارة بني مزيد والمنتفق وخفاجة وعبادة وشمير
وآل فضل الطائية والموالي وأبوريشة وإمارة عنزة. أمّا بلاد البحرين لعل بني عامر
والعيونيين والجبور وأخيراً بني خالد.

Stephen L patner, Lords of Desert Border (٣٤)

Lattimore Owen (٣٥)

(٣٦) مؤلف مجهول، شرح ديوان المقرب، تحقيق عبد الخالق عبد الجليل الجنبي، (دار
الحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ج٤/١١٤، ٢٢٢.

عبد الرحمن المديرس، الدولة العيونية في البحرين، دار الملك عبد العزيز،
الرياض ١٤٢٢هـ، ٨٣-١٠٠. عبد اللطيف الناصر الحميدان، إمارة العصفوريين...
مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥ لسنة ١٩٧٩م، ص ٨١، ٨٠.

(٣٧) المديرس، المرجع السابق

(٣٨) الكامل، ٤٦٤/٨، ٦٥.

(٣٩) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م،
ج١/٣٦٨.

(٤٠) أبو البقاء الحلبي، المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: صالح موسى درادكة
وزميله، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ١٩٨٤م، ج٢/٤٩٥-٩٩: ابن الأثير،
الكامل، ٩٠/٩-٩١ ابن خلدون، ٢٨٣/٤.

(٤١) الكامل، ٩٥/٩: ابن خلدون، مصدر سابق ٢٨٣/٤.

(٤٢) ابن الأثير، مصدر سابق، ٨٩/٩-٩٠.

- (٤٣) المصدر نفسه ١١٣/٩-١١٩ : ابن خلدون ٨٢٥/٤-٢٦.
- (٤٤) ابن الجوزي، المنتظم ج١٧-١٨/١٨-٢٠٧/٢٢٠ : ابن الأثير، ٢١٩/٩-٢٢١ : سبط
ابن الجوزي، مرآة الزمان، تحقيق: مسفر الغامدي، مركز التراث الإسلامي مكة،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢/٧٦٩.
- (٤٥) ابن خلدون، ٤٩٤/٣-٤٩٥، ٢٨٨-٢٨٩.
- (٤٦) ابن الأثير ٢٨٥/٩.
- (٤٧) ابن الأثير ٤٥١/٩.

القارئ وإنتاج المعنى في مصطلح "حسن التعليل" البلاغي

بقلم: د. ابتسام محفوظ محمود أبو محفوظ

المقدمة

تنطلق نظرية القراءة من أن إنتاج المعنى مرتبط بالتفاعل بين النص وقارئه حيث تدفعه إلى إعادة إنتاجه عندما يسمح له النص أن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار، وانطلاقاً من هذه النظرية جاءت فكرة البحث في قراءة مصطلح "حسن التعليل" للخروج به من الفكرة التي ترسم له دوراً زخرفياً، يتمظهر في تناول المصطلح البديعي ودراسته في النصوص دون ربطها بالدور البنائي له، مما يدعونا إلى استبعاد تلك الفكرة^(١) لأنها تدخل في صلب بناء الكلام ذاته، إذ الأمر لا يعني وجود الظاهرة البديعية فحسب بل هو ما تركه من أثر في إنتاج الدلالة وبناء المعنى على نحو جمالي خاص.

ولعلنا نقرأ "حسن التعليل" وأمثله المختلفة في المتون البلاغية المختلفة وفق نظرية القراءة عند فولفانغ إيزر في كتابه "فعل القراءة" التي تعنى بإشراك القارئ الضمني (الفعلي أو التخيلي) في الخطاب حيث كان حاضراً في بنيتة النصية بشكل مضمراً أو ظاهر يقوم بعملية التلقي

والتفسير، كما تبين حضوره إلى جانب منشي النص في تلك البنية، فكلاهما يشتركان في لعبة الخيال؛ مما يحزر النص البلاغي القديم من إسار القراءة الواحدة، وتنطلق به إلى قراءات جديدة على مستوى التأويل، ملتفتة إلى دور هذا المصطلح في إنتاج الدلالة من خلال ما يتيح من مفارقات كلامية قادرة على تحقيق انزياح يساهم في بناء المعنى الذي يتكون من وجهة النظر الجواله في كونها تسمح للقارئ بالانتقال من منظور إلى آخر لتشكيل شبكة الروابط التي تولد نشاطاً تأويلياً منجزة التحقق القرائي، ومستفيدة من مفهوم "اللاتحديد" أو "الصورة الذهنية" أو "الفراغات" التي يتركها النص لقارئه فينجز إعادة التركيب، ليحقق النص وظيفة مزدوجة تجمع بين الجمالية والتواصلية.

أولاً- القارئ الضمني :

أفادت الدراسة من نظرية القراءة عند فولفانغ إيذر في كتابه "فعل القراءة" التي نظرت إلى أنّ النص له قطبان: قطب فني يشكل نص المؤلف وآخر جمالي يتمثل في التحقق الذي ينجزه القارئ، وعملية القراءة تنتج من التفاعل بين هذين القطبين، حيث يفترض القطب الفني أن يكون للنص بنية معقدة تمتلك تأثيراً على القارئ لتدفعه إلى "توضيح المعاني الكامنة في النص وينبغي ألا يقتصر على معنى واحد فقط" (٢) موجهة القارئ إلى التأويل من أجل الوصول إلى تحليل التأثير الجمالي للنص؛ وهو من الأمور التي لا يمكن وضع تعريف ثابت له، لذاتيته وعدم خضوعه للمراقبة واختلافه من قارئ إلى آخر، واختلاف زمن القراءة

نفسها مما يجعل إمكانية المعنى الواحد أمراً غير ممكن لتكون النتيجة تعدد عمليات إنتاج المعنى واتخاذ أشكالاً عدة يتمظهر فيها عند القارئ؛ لأن كل قارئ سيعيد خلق العمل بطريقته الخاصة، والنتيجة هو إبداع آخر للنص لا يطابق النص الأصلي ولا القارئ، وهذه العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ هي التي تصنع النص الذي هو "امتداد ضروري خارج بنيته، والقارئ أيضاً أثناء القراءة يكون متجاوزاً لذاته. وفي هذه النقطة الموجودة خارج الحقلين معاً يوجد الأثر الأدبي. إنها نقطة التفاعل التي تصنع النص من جديد، كما أنها تخلق بالنسبة للقارئ وهم شخصية جديدة تجاوز كينونته السابقة"^(٣)، لتتطور هذه العلاقة التفاعلية بينهما إجرائياً عند إيثر بالقارئ الضمني.

يجسد القارئ الضمني "كل الاستعدادات المسبقة الضرورية للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره"^(٤)، وهو "بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن تحدده بالضرورة... وهكذا يعين مفهوم القارئ الضمني شبكة من البنيات التي تستدعي تجاوباً يلزم القارئ فهم النص"^(٥)، وهذا يعني أنه جزء من بنية النص يبرز من خلال الدور المسند إليه من النص الذي يحدث وجهة نظر "يستطيع القارئ أن ينظر منها إلى الأشياء التي لم يكن بالإمكان أن تبرز طالما كانت استعداداته الخاصة المألوفة تحدد توجهه"^(٦)، ومن هنا يُبين دور القارئ الضمني بواسطة ثلاثة مكونات هي:

- المنظورات المختلفة الممثلة في النص.
- زاوية النظر، التي انطلاقاً منها يربط القارئ بين هذه المنظورات.

- المكان الذي تتجمع فيه.

هذه النقاط مجتمعة تبين دوره بوصفه بنية نصية يفترض فيها أن تثير أفعالاً مبنية لديه ؛ فدوره في البنية النصية يبدأ بالتأثير عليه نفسه حيث تدفعه إلى تكوين صورة ذهنية تتغير باستمرار أثناء عملية القراءة "حيث تصبح زاوية نظر القارئ ومتلقي المنظورات متداخلين خلال العملية التصويرية وبالتالي يعملان حتماً على جذب القارئ إلى داخل عالم النص"^(٧) وإثارته من خلال إشارات وعلامات مضمرة حيناً وظاهرة في أحيان أخرى لكنهما تظهران حضور القارئ.

وفي مصطلح "حسن التعليل" البلاغي هناك نوع من الحوار الخفي بين النص وقارئه حيث يستخدم النص "عددًا معينًا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل"^(٨) يتوجه بها إلى القارئ ليدرك العلة الطريفة التي تتوارى خلف صفة ما وكيف تنبني عليها الصورة المخيلة^(٩) التي تترك أثرها في المتلقي بصورة لا يمكن فيها الفصل بين النص وأثره، أو الفصل بين التخيل الخاص بالنص الشعري وما فيه من مظاهر الشعرية والتخيل الخاص بالأثر الذي يتركه النص في المتلقي من خلال العلة المخترعة والمتخيلة.

وفي الخروج عن المؤلف والعرف العام وتجاوزه إلى ما ليس له إلف خصوصية شعرية يستنطقها القارئ في الربط بين عناصر المعنى والانزياح به نحو المبالغة حيناً والغرابة حيناً آخر، وقد التفت عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ هذه العلة تجعل المعنى يتمظهر بأسلوب خاص يميل به إلى ذلك

الشكل من الانزياح ، وذلك "أن يدعي في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلة يضعها الشاعر ويختلقها إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور"^(١٠) ، ويضرب لذلك مثلاً (من البسيط) :
لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق
يلق عليه عبد القاهر بالقول إنه أريد به "التناهي في المبالغة والإغراق والإغراب"^(١١) ، لتقوده إلى الغموض وتعقد العلاقات ، وتدفع به إلى الانتقال من مستوى معين في القراءة إلى مستويات أخرى ، وبالتالي إحداث تأثير قصدي في المتلقي يقابله المتلقي بالاستجابة والتأثر ؛ فالإتيان بعللة تمتاز بالغرابة والطرافة والغموض تحدث مفارقة دلالية بين ما هو متوقع وما يؤتى به ، لأن "الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبعده... والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد"^(١٢) ، فقد اجتمعت الطرافة والعجب والغرابة معاً لتقود إلى معنى جديد يقوم على غير المتوقع في الجمع بين الوصف وعلته اللذين لا يجتمعان في الحقيقة ، فتكون له تلك القوة المخيلة المؤثرة على القارئ ، فقد عدل الشاعر عن العلة المتوقعة المألوفة إلى أخرى ، "والشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة النفوس به أكثر وكان بالشغف منها أجدر"^(١٣) ، وما يقوي موقع التخيل من النفس ويحسنه "أن يترامى بالكلام إلى أنحاء من التعجب فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام ، والتعجب يكون

باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلل التهدي إلى مثلها. فورودها مستندر مستطرف لذلك : كالتهدي إلى ما يقلل التهدي إليه من سبب للشيء تخفى سببته أو غاية له... وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغربها"^(١٤).

ولعل مفردات مثل الغرابة والغموض والطرافة تحمل معنى الانزياح الدلالي الذي يشكل الشعرية، لأنها تقع في منطقة النفي التي يغيب عنها المعنى بسبب ما تتضمنه من مفارقة لما يتوقعه القارئ وتقتضي فعلاً قرائياً محاوراً يقارب المعنى احتمالاً^(١٥).

وهنا حديث عن الأثر الذي يتركه هذا المصطلح في نفس القارئ بشكل يقوم على المبالغة وما تحققه من انزياح، حيث يشتغل الفكر لتحديده ومكانه، ويدفعه إلى أن يقود المعنى باتجاه معين، كما أنّ هذه المبالغة التي يتحدث عنها عبد القاهر تكاد تشكل مدار البلاغة، خصوصاً ما يتعلق منها بجانب التركيب لتكوين انطباع معين لدى القارئ، وفي كل الحالات تكون شحنة تضاف إلى المعلومة المعطاة، ويقصد بها مزيداً من التأثير على القارئ، مع التأكيد على أنه لا يمكن الحديث "عمّا يسمّى بالأثر الأدبي إلا كنتيجة خارجة عن نطاق النص والمتلقي معاً، إنه لا يوجد إلا في نقطة التلامس التي يحدثها التفاعل بينهما لحظة القراءة"^(١٦).

والنتج العلوي في طرازه إلى القارئ المتلقي أثناء صياغته لمفهوم المصطلح، حيث التفت إلى أنّ القارئ يكون ماثلاً في بنية النص ومشاركاً مُنشئاً من خلال التوجه المباشر له بالخطاب ليفسر كيفية انبثاقه في ذات

منشئه التي قصدت إيقاع معنى غريب ولطيف وعجيب في نفس القارئ لتحقق التأثير التواصلي والجمالي عنده، وذلك بأن "تقصد إلى حكم من الأحكام فتراه مستبعداً، من أجل ما اختصّ به من الغرابة واللفظ والإعجاب، أو غير ذلك، فتأتي على جهة الاستطراف بصفة مناسبة للتعليل، فتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه"^(١٧)، من أجل أن يتوهم القارئ أنّها علة محققة، فتقرّر عنده وتثبت ثبات العلة الواقعيّة المنطقيّة بشكل قائم على الاستطراف والإيهام، وفيهما إخراج للقول بصورة مغايرة للمألوف.

وفي إمعان القزويني^(١٨) أن يجعله في أقسام بالنظر إلى ثبوت الوصف أو انعدامه دليل على حضور القارئ؛ لأنه المعيار الذي يُحتكم إليه في ذلك، فهو القادر على أن يميّز الوصف الثابت من غيره، ليرى الجدة والطرافة في العلة المستحدثة؛ لأنها قائمة على الادعاء، وما كان هذا شأنه فإنه يشير إلى مستوى من التعبير صارت فيه العلة تلعب دوراً بنائياً لا شكلياً ببنية النص وتدخل في نسيج صياغته محدثة اللغة الشعرية؛ لأنها أتت بـ"علة مخترعة مع أمرٍ ليس معلولاً لها على الحقيقة"^(١٩)، والشيء "إذا كان معللاً كان أكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل"^(٢٠)، محققة الإيهام والاستطراف، وهذا هو صنيع الشعراء الذين اهتموا "إلى استعمال ما هو خارج عن الأصل... إذ كان بناؤهم لا على صحة بل على تخييل فقط"^(٢١)، يقوم على ابتكار المعاني القائمة على التخيل، وإخراجها من دائرة الصدق والكذب، في بناء شعري له صورة خاصة تتميز بصياغة

شعرية مؤثرة لها قيمة جمالية خاصة تحدث أثرها في المتلقي فتحدث اللذة والأثر المطلوبين، وهذه العلة لا قيمة لها إلا من حيث تشكلها في صورة متجانسة مع وصفها أو معلولها ولا تفهم منفصلة عنه، بل لا بد أن تتناغما معاً في كل موحد لتكون صورة واحدة متناسقة لتقديم المعنى، حيث يتوسل الشاعر بهذه العلة ليعرض المعنى بعيداً عن دلالاته الحرفية.

وهكذا فإن قوة التعليل البنائية تتأتى من الاستعانة بمقومات الانزياح المختلفة التي تؤثر في القارئ وتدفعه إلى الاستجابة والشعور بالدهشة، لتحيل على المعاني المتصلة بالجانب الإنساني، ويظهر ذلك من خلال تأثر القارئ وانفعاله بها، وهي التي تجعله يتخيل العلة التي يأتي بها الشاعر ويربطها مع المقدمات، وهذا يعني أنّ دراسة العمل الأدبي يجب أن تهتم ليس فقط بالنص الفعلي بل كذلك، وبنفس الدرجة، بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص^(٢٢).

ثانياً- وجهة النظر الجوالة:

ينطلق إيزر في مفهومه لوجهة النظر الجوالة من أنّ العمل الأدبي "في حقيقة الأمر لا يمثّل سوى مجرد افتتاحية لإنتاج المعنى وحالات الكفاءة الفردية للقراء هي التي تؤدي إلى تجهيز العمل الأدبي"^(٢٣)، الذي "لا يمكن له أن يدرك دفعة واحدة"^(٢٤)، ولا يمكن للقارئ أن يتخيل موضوعه دون مروره بالمراحل المختلفة المتتابعة للقراءة التي تسلم كل مرحلة إلى ما يليها، حيث ينتقل القارئ إلى مرحلة جديدة بعد أن يعيد النظر فيما سبق له واخترنه، فكل مرحلة يكون فيها القارئ وجهة نظر ستختلف بعد

قليل ؛ لأنّ وجهة النظر هذه ستصبح ماضية في اللحظة القرائية التي تليها ، والنص في كل مرحلة يتمظهر بطريقة معيّنة ولا يستطيع أن يكون وجهة نظر دالة إلا بعد الانتهاء من فهم العلاقات المختلفة بين أجزاء النص ، وهذا يعني أنّ النص يتشكل من سلسلة مترابطة من المتواليات الجمالية تفضي إلى إنتاج دلالاته ، والقارئ يحاول إدراك العلاقات التي تربط بين عناصر هذه السلسلة وكيفية ترابطها ليصل إلى وجهة نظر تختلف عن النص الأصلي وعن كل تمظهراته التي ظهر فيها خلال القراءة.

وهذا يعني أنّ عملية القراءة تولي السياق أهمية خاصة ، إذ لا قيمة للكلمة المفردة بل قيمتها في علاقاتها المتشكلة والمتشابكة في سياقها النصي وسياقها المقامي.

وفي مصطلح "حسن التعليل" لا يستحضر النص علة جاهزة مألوفة بل يتخيّل ، وهو في تحيّل هذا يبني صورة جديدة يجمع فيها بين الأشياء الغائبة التي يكون لها قدرة على إقامة بناء لغوي معيّن يجعله قابلاً للتأويل ، حيث ينتزع النص موضوعاته "المنتقاة من سياقها التداولي وبالتالي يحطم إطارها المرجعي الأصلي"^(٢٥) ليقوم علاقة جديدة لا تتم إلا بتأويل يجمع بين الوصف وعلته ، مما يمنح النص خصوصية شعرية ، وما طريقه التأويل فإنه يتفاوت بين ما هو قريب وما يحتاج فيه إلى أعمال العقل لإدراك العلاقة بينهما ، وكلما تعقدت هذه العلاقات كلما احتاج النص إلى قدرات تأويلية خاصة قد تنتقل من المعاني الأول إلى مستويات آخر منها ، وهو نوع من التأويل المتسق (الجشطات) "ذلك التأويل

الخاضع لمعطيات القراءة الفردية التي تعتمد على انتقاء عناصر معينة من النص، أثناء جريان تلقي وحداته الدلالية، وإقصاء عناصر أخرى، من أجل إغلاق عالمه الدلالي في معنى محدد يرتضيه قارئ فردي ما. ونتيجة القراءة تكون، في هذه الحالة، تأويلاً يستفيد أيضاً من الإمكانيات المحتملة التي تفتحها الصيغ التخيلية وكذا الفراغات المتعددة في الأعمال الأدبية، إذ يتم ملؤها في الغالب بما يتوفر عليه القارئ من ذخيرة محملة بالخططات الفكرية والتصورات السابقة من الوسط الثقافي الذي يعيش فيه" (٢٦).

ففي قول المتنبي (من الرمل):

ما به قتل أعاديته ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب
الذي يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديته فلا رادته هلاكهم، وأن يدفع مضارهم عن نفسه، وليسلم ملكه ويصفو من منازعاتهم، وقد ادعى المتنبي كما نرى العلة في قتل بدر بن عمار لأعدائه غير ذلك، وهو مما لا يمكن إدراكه إلا بتأويل، فقد أمنهم بقصورهم عنه، لكنه يحذر أن يخالف ما اعتاده من إطعام الذئاب لحوم قتلاه، فقد أنكر العلة المألوفة الثابتة لقتلهم والخلص من فسادهم واستحضر علة لا يمكن ربطها بالمعلل دون تأويل؛ لأنّ الصفة ثابتة قصد جلب علة جديدة لها.

فالقارئ يكون وجهة نظر معينة في اللحظات الأولى المشكلة للوصف لا تلبث أن تتغير بعد ذكر العلة حيث يشعر القارئ أنّ كل لحظة هي لحظة ترقب وانتظار بشكل يسمح للقارئ "أن يجول عبر النص وبالتالي يكشف

تعددية المنظورات المترابطة التي تتغير كلما حدث تنقل من منظور إلى آخر وهكذا ينشئ شبكة من الروابط الممكنة^(٢٧) تدفعه إلى الابتعاد عن النظرة الجزئية والانتقال إلى الصورة الكلية المترتبة على الجمع بين الوصف وعلته بطرق شتى حيث يبني القارئ تصوراً من المتواليات الجمالية ويتوقع أن تأتي كل جملة لتجيب عن التساؤلات التي أثارتها الجملة التي سبقتها، لكن الانقطاع في العلة التي يأتي بها الشاعر تكون بمثابة الخلل الذي يوقف ذلك الجريان لمتوالية الجمل التي تشكل (الوصف/ العلة الحقيقية)، فتأتي العلة المستحدثة بمثابة الالتواءات والانعطافات المفاجئة لتكون حافزاً محدثاً للذة والتعجب، وهذا الانتقال المفاجئ في متوالية الوصف/ العلة المتخيلة هو ما يسميه إيزر بوجهة النظر الجواله التي تتغير مما كان متوقفاً إلى شيء آخر بانتهاء النص لأنها "تتشكل أثناء كل لحظة من لحظات القراءة"^(٢٨)، فكل جملة لا تبلغ نهايتها إلا بعد أن تتجاوز دلالتها إلى ما يليها لتحديث الإنجاز الدلالي الذي تهدف إليه لدى القارئ، وأعجب ما فيها أنها تنقل القارئ إلى ما هو غير متوقع تدريجياً فلا يمكن الإحاطة به دفعة واحدة و"معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل"^(٢٩).

وفي قول أبي تمام (من الكامل):

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

تجزئ " وجهة النظر الجوالة "النص إلى بنيات متفاعلة وهذه البنيات تولد نشاطاً تجميعياً أساسياً بالنسبة لفهم النص" (٣٠)، حيث تجتمع منظومة الكرم والعطاء كطباع استقرت في داخله وإن خلت من الغنى المادي، وهي مقدمة منطقية تنتظر علة حقيقية يتوقعها القارئ إلا أنه يُفاجأ بعلة طريفة تسلم إلى الإحساس بالرفعة والكبرياء، وهي مسألة في السلوك الاجتماعي يُربط فيها العطاء بالسمعة الطيبة والصيت الحسن الذي يرفض العربي نكرانه كما ترفض المرأة عطلها من الحلبي، وفي السياق الاجتماعي فإن العطل من الغنى للكريم يساوي العطل من الحلبي للأثني، فهل تقبل الأثني عطلها من الحلبي؟ لتأتي العلة الطريفة فيما يأتي من قول لتلقي الدهشة في داخله بأن السيل لا يستقر في المكان العالي لتقود إلى معان عدة من سهولة العطاء وتدفقه، والرغبة في إظهار الذات والشعور بالاستعلاء الذي يعوّض عن الغنى المادي بما هو أكثر منه لتحديث نوعاً من اللذة والالتذاذ والمقصدية في التأثير.

وكما أنّ هذه العلة تعمل في المستوى البنائي على ربط النص معنوياً فإنها تعمل على ربطه لفظياً فتعمل على حبه، وإذا كان الحبك يشير إلى العلاقات المنطقية التي تجعل النص مترابطاً من خلال اعتماده على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعاقبة يتم بواسطتها فهم النص (٣١)، فإن العلة التخيلية التي يذكرها منشئ النص ليربط من خلالها بين المقدمات المنطقية وعلتها التخيلية تلعب دوراً بنائياً في ربط بنية النص العميقة، لوجود روابط ضمنية بين المقدمات وعلتها يستخلصها القارئ

من خلال الاسترجاع والتخزين تساعده على الانتقال من المعاني الجزئية إلى المعاني الكلية، وقد التفت عبد القاهر إلى دور العلة المتخيلة في ربط النص وإحكامه عندما جعل العلاقة بين المقدمة وعلتها قائمة على القياس التخيلي في قول أبي تمام السابق فهو تحييل يقوم على القياس بين الكريم الذي يزل الغنى عنه والسييل الذي يزل عن الطود العظيم، "فالعلة في أنّ السييل لا يستقر على الأمكنة العالية، أنّ الماء سيال لا يثبت إلا إذا حصل في موضع له جوانب تدفعه عن الانصباب وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال شيء من هذه الخلال"^(٣٢).

فالشاعر يختار علة من العلل التي تساهم في بناء سياق لغوي معيّن يعتمد على عناصر لغوية في النص، يقوم بعضها على الانتقال به إلى بناء أسلوب يلمح فيه نوع من التشبيه هو أقرب إلى التشبيه الضمني، كإجراء أسلوب قادر على أن يتخطى المؤلف، ويؤتى به عادة "للبرهان على صحة الحكم والتدليل على دعوى بأنها ممكنة وصحيحة"^(٣٣)، إذ يأتي التشبيه وكأنه الدليل على ما ذهب إليه، وإن باعد بين طرفيه ليكون مدعاة للعجب والطرافة، لأن تحسس مواطن الجمال تقتضي إخفاء التشبيه ليزداد التعبير حسناً حيث يثير المشبه فكرة فيها نوع من الغرابة والادعاء فلا يسلم بها القارئ تسليماً وإنما يحتاج فيها إلى دليل، فتثار الأسئلة حول هذا الدليل وعلاقته بالوصف المذكور وكيف يكون علة له، فتضاعف انتباهه وتشيره نحو معنى خاص.

كما أنها -قد تكون- أشبه ما تكون بالمقارنات التي تقارن بين شيئين متفقين أو مختلفين، وتقيس أحدهما على الآخر كقول المتنبي (من الكامل):

رَحَلَ العزَاءُ بِرَحْلَتِي فَكَأَنِّي أَتَبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ
فَقَدْ عَلَّلَ تَصَعُّدَ الأَنْفَاسِ مِنْ صَدْرِهِ بِهَذِهِ العِلَّةِ الغَرِيبَةِ، وَتَرَكَ مَا هُوَ
مَشْهُورٌ وَهُوَ التَّحَسُّرُ وَالتَّأْسُفُ، إِذْ رَحَلَ عَنْهُ العِزَاءُ بِارْتِحَالِهِ عَنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ
لَمَّا كَانَ مَحَلَّ الصَّبْرِ الصَّدْرُ، وَكَانَتِ الأَنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ مِنْهُ، صَارَ العِزَاءُ
وَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ كَأَنَّهُمَا نَزِيلَانِ وَرَفِيقَانِ، فَلَمَّا رَحَلَ ذَاكَ، كَانَ حَقٌّ هَذَا
أَنْ يَشِيعَهُ قِضَاءً لِحَقِّ الصُّحْبَةِ.

كما يعنى الحبك برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي^(٣٤)، فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرفها النص من المعرفة السابقة بالعالم^(٣٥)، وفي قول قيس بن الملوح (من الكامل):

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِقَتْلِهَا مِنْ حُبِّهَا كَيْمَا تَكُونَ خَصِيمَتِي فِي المَحْشَرِ
حَتَّى يَطُولَ عَلَى الصَّرَاطِ وَقُوفُنَا فَتَلْدُ عَيْنِي مِنْ لَذِيذِ المَنْظَرِ
اهْتِمَامٌ بِذِكْرِ هَذِهِ العِلَلِ اللطيفة المتخيلة المتابعة معتمداً على ما يعرفه القارئ.

وفي قول مسلم بن الوليد (من البسيط):

يَا وَاشْيَاءَ حَسَنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَى حِذَارِكُ إِنْسَانِي مِنَ الغُرُقِ

فقد استحسن ما لم يستحسنه الناس في استحسان إساءة الواشي ؛
لأنها جعلته يحذر الواشي ، ويتقي مكره وكيده فحمى إنسان عينه من
العمى لكثرة دمه لو لم يطلع على وشاياته ، فقد أثارت العلة المتخيلة
سلسلة من المعارف السابقة المخترنة في ذاكرة القارئ والقادرة على
استثارته ودفعه إلى البحث عن المعاني الكامنة وراء النص .

وقد ترتبط العلة بالوصف المذكور من خلال :

١ - أدوات الربط على اختلاف أنواعها ، مثل :

- الربط السببي بكي وحتى ولام التعليل : (من البسيط)

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

- الربط الزمني بالفاء وثم كقول المتنبي (من البسيط):

لا يطلع البدر إلا من تشوقه إليك حتى يوافي وجهك النظرا

- الربط العكسي حيث تكون الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة ومستدركة

عليها بتعابير الاستدراك والاستثناء المختلفة نحو: لكن، وإلا، وغير،

وبيد أن، وغيرها، نحو:

- قول أبي العلاء (من الكامل):

ما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها في وجهه أثر اللطم

- قول المتنبي يمدح هارون بن عبد العزيز (من الكامل):

لم تحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيها الرُحضاء

- قول ابن الرومي (من البسيط):

أما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

٢- أسلوب الحوار:

- الحوار الخارجي المباشر الذي يقوم على استخدام تقنية السرد

ومن أمثله قول ابن رشيق (من الوافر):

سألت الأرض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهراً وطيباً
فقلت غير ناطقة لأنني حوت لكل إنسان حبيباً

٣- التضمين العروضي (من البسيط):

من كان يزعم أنّ الشمس ما غربت في فيه كذب في وجهه الشفق
وأخيراً: الفراغات أو اللاتحديد:

يعمل القارئ أثناء عملية القراءة عند إيزر^(٣٦) على إثارة تساؤلات حول المعنى بما يترك مجموعة من الفراغات لإكمالها أو إتمامه أو إجابة تساؤلاته وهو ما يسميه بالفراغات أو كما يسميها إنغاردن بـ"اللاتحديد"؛ "ذلك أن إنغاردن ينظر إلى القيمة الجمالية والسمات الميتافيزيقية باعتبارها قيماً إيجابية ومتعالية. يتم تحقيق النص، أي ملء أماكن اللاتحديد فيه، على ضوئها. وهو الاعتقاد الذي جعل إنغاردن يميز بين التحقيقات الصحيحة أو المناسبة، والتحقيقات الخاطئة. في حين أن إيزر يعتبر القيمة الجمالية في حد ذاتها نتاجاً لعملية التحقيق وسد أماكن اللاتحديد النصية"^(٣٧)، فلا يمكن لعلاقة التفاعل بين القارئ والنص بلوغ التوازن دون ملء هذه الفراغات، لأنّ "النص لا يحمل في ذاته دلالة ظاهرة ونهائية بل هو فضاء دلالي وإمكان تأويلي ولذا فهو لا ينفصل عن قارئه ولا يتحقق دون مساهمته أيضاً"^(٣٨) وهذا النص يثير باستمرار وجهات

نظر متغيرة لدى القارئ تحدث نوعاً من اللاتماثل بينه وبين النص إذ يجهل كل منهما هوية الآخر، ويرسم كل منهما صورة غير مطابقة للحقيقة عن الآخر، وهذا يوجب العلاقة التأويلية بينهما ويدفع إلى المزيد من التأويل تدفع القارئ إلى الخروج من سلطة المؤلف فيقترح أبنية جديدة تولد معاني محتملة انطلاقاً من تصوراته الذهنية الخاصة التي يمتلكها القارئ، ينبغي عليه أن يعمل على تجميعها وتركيبها، وهذا المعنى المتولد والنتاج هو إبداع آخر للنص لا يطابق النص الأصلي ولا القارئ، وهكذا فإنّ "مشكلة تملك معنى النص تصبح أمراً لا يقل مفارقة عن التأليف فيتداخل حق القارئ بحق النص في نزاع يولد حركة التأويل برمتها"^(٣٩)، وفي علاقة التفاعل هذه بين ما هو صريح وضمني أو ما هو مكشوف ومخفي وحث القارئ على الفعل لملء فراغات النص إشارة إلى أنها لا يمكن لها أن تملأ بنفس النسق بل لا بد من نسق آخر ينجزه القارئ في فعل التحقق القرائي من خلال إزالة هذه اللاتحديدات أو ملئها أو تفسيرها "حتى يمكن لمستويات العمل المختلفة أن تترايط فيما بينها بطريقة ملائمة وتصبح الخصائص الجمالية في مركز الاهتمام"^(٤٠).

وفي "حسن التعليل" فإنّ نشاط القارئ ينتقل من حال إلى حال ثم يحاول ملء الفراغ القائم بين الوصف وعلته، ليهتدي بتوجيهات النص لحل التناقضات المنبثقة منه، وهو في تجربته هذه يستبطن النص ويتمثله في تجربته، "ويبدو أنه في حين تقدم النصوص العبارات التي يقوم من خلالها القارئ بجعل المعاني حقيقية، فإنّ "مخزون تجربة" القارئ الخاصة

سيحتل جزءاً من هذه العملية ، وسيتحتم على وعي القارئ أن يقوم ببعض التعديلات الداخلية كي يتلقى ويستوعب الآراء الغربية التي يقدمها النص حين تتم عملية القراءة ، وينتج عن هذه الحالة إمكانية تعديل رؤية القارئ الخاصة للعالم "كنتيجة للتمثل الداخلي والحوار وإدراك العناصر غير المحددة جزئياً في النص ، فلربما نتعلم شيئاً ما من القراءة"^(٤١) ، وبكلمات إيزر فإن القراءة "تعطينا الفرصة لصياغة ما ليس مصوغاً" ، لأنه يجعل النص هيكلًا يقوم القارئ بملئه وفق معطياته ، ووفق ثقافة عصره ، مما يجعل النص مفتوحاً على التأويل والتفسير والتجديد مع كل قراءة جديدة ، فيكمل القارئ النص وفق رؤيته الخاصة من خلال حوار خفي بين موضوع النص وتجربته الذاتية حتى يصل إلى إبداع نص مواز.

الهوامش :

❖ جامعة القصيم - كلية العلوم والآداب في ضرية- المملكة العربية السعودية.

عنوان المراسلة : ibtisamabomahfooz@yahoo.com

ت : ٠٠٩٦٦٥٠٥٨٣٥٥٧٢٤

(١) وقد ظهرت كتب عدة تناولت دور مصطلحات علم البديع في تشكيل بنية النص ودخولها في نسيج صياغته وإنتاج دلالاته ، مثل : "بلاغة الخطاب وعلم النص" لصالح فضل ، و "البلاغة العربية قراءة أخرى" و "بناء الأسلوب في شعر الحدائث..التكوين البديعي" لمحمد عبد المطلب ، و "البديع بين البلاغة واللسانيات النصية" لجمال عبد الحميد ، وغيرها.

- (٢) آيزر، فولفانغ: **فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)**، ترجمة حميد حميداني والجلالي الكدية، فاس: مشورات مكتبة المناهل، ١٩٩٥م، ص ١٣-١٤
- (٣) حميداني، حميد: **القراءة وتوليد الدلالة**، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص ٧٣.
- (٤) فعل القراءة ص ٣٠.
- (٥) فعل القراءة ص ٣٠.
- (٦) فعل القراءة ص ٣١.
- (٧) فعل القراءة ص ٣٢.
- (٨) بلانشيه، فيليب: **التداولية من اوستن إلى غوفمان**، ترجمة صابر الحباشة، ط١، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ٨٤.
- (٩) والمخيل: "هو الكلام الذي تدغن له النفس فتنبسط لأمر أو تنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار. وبالجملته تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان المقول مصدقاً به أو غير مصدق به" القرطاجني، حازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٠، ص ٨٥.
- (١٠) الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**، قرأه وعلق عليه محمد محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٩٩١م، ص ٢٧٧-٢٧٨.
- (١١) أسرار البلاغة ص ٢٧٨.
- (١٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٧، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م، ١/٨٩-٩٠.
- (١٣) أسرار البلاغة ص ١٣١.
- (١٤) منهاج البغاء ص ٩٠.
- (١٥) حمودة، عبد العزيز: **المرايا المحدبة من النبوية إلى التفكيك**، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م، ص ٢٩٠.
- (١٦) حميداني، حميد: **القراءة وتوليد الدلالة** ص ٧٨.

- (١٧) العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز، مصر: مطبعة المقتطف ١٣٣٣هـ،
ج٣ ص١٣٨.
- (١٨) القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، حققه وعلق عليه عبد الحميد
هنداوي، ط٢، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص٣١٠.
- (١٩) حسان، تمام لأصول دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو - فقه
اللغة - البلاغة)، القاهرة: عالم الكتب، أميرة للطباعة ٢٠٠٠ ص٣٤٢.
- (٢٠) لاشين، عبد الفتاح: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، القاهرة: دار الفكر
العربي، ٢٠٠٦م، ص١١٩.
- (٢١) الروبي، ألفت كمال: الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ط١، لبنان: دار التنوير
ص٥٣.
- (٢٢) فعل القراءة ص ١٢.
- (٢٣) فضل، صلاح: شفرات النص، ط١، بيروت: دار الآداب، ١٩٩٩م، ص١٥٧.
- (٢٤) فعل القراءة ص ٥٧.
- (٢٥) فعل القراءة ص ٥٧.
- (٢٦) القراءة وتوليد الدالة ص ١١٤-١١٥.
- (٢٧) فعل القراءة ص ٦٩.
- (٢٨) فعل القراءة ص ٦٣.
- (٢٩) أسرار البلاغة ص ١٣٥.
- (٣٠) فعل القراءة ص ٧٠.
- (٣١) يوجران، روبرت دي: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم
الكتب، ٢٠٠٧م، ص١٠٣.
- (٣٢) أسرار البلاغة ص ٢٦٧.
- (٣٣) البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ص ١٠٣.
- (٣٤) عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط١، القاهرة: مكتبة
زهراء الشرق، ٢٠٠١م، ص١٠٣.

- (٣٥) النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣
- (٣٦) فعل القراءة ص ٩٩
- (٣٧) عبد الكريم، شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ٢٢٣.
- (٣٨) حرب، علي: التأويل والحقيقة، ط ٢، لبنان: بيروت، دار التنوير، ١٩٩٥م، ص ٩.
- (٣٩) ريكور، بول: نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ترجمة سعيد الغانمي، ط ٢، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م، ص ٦٤.
- (٤٠) فعل القراءة ص ١٠٨.
- (٤١) سلدر، رامان، ويروكس، بيتر: النظريات الموجهة نحو القارئ، ترجمة محمد نور النعيمي ص ١١١.

المزاح والدعابة في الإسلام

قراءة في فقه السيرة ودعابة الصحابة والتابعين ومزاحهم

(٢)

بقلم: د. التاه بن محمد بن اجمد

المحور الثالث: مزاح النبي ﷺ

لقد كان الرسول الله ﷺ يداعب أصحابه ويضحك من المسائل المثيرة للضحك، وكتب السيرة والشمائل والتراجم تحتوي على نماذج هامة من ذلك، وسنعرض هنا في هذا المحور لمزاح النبي ﷺ مع صحابته (أولاً) قبل أن نعرّج على مزاحه مع الصحابييات (ثانياً) لنشفع ذلك ببعض مباحثاته

ﷺ لزوجاته أمهات المؤمنين (ثالثاً) لنختم بنماذج من مزاحه ﷺ مع الأطفال (رابعاً).

أولاً: مزاحه ﷺ مع الصحابة

معلوم أنّ النبي ﷺ كان متواضعاً، فلذلك كان أحياناً يمزح مع أصحابه -رضوان الله عليهم- وتورد لنا كتب السير والشمال والتراجم نماذج عديدة من مزاحه ﷺ مع أصحابه -رضوان الله عليهم- وسنعرض هنا لبعضها بحسب ما يسمح به المقام.

فمن بين النماذج ما ذكره ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رجلاً من أهل البادية يقال له: زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ زاهراً باديئنا ونحن حاضرهم»، قال: فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه -والرجل لا يبصره- فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه، فلمّا عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري هذا العبد؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسداً، قال: «لكنك عند الله لست بكاسد» أو قال رضي الله عنه: «بل أنت عند الله غال»^(١).

يقول العلامة جسوس معلقاً على حديث زاهر الأنف: "وبهذا تعلم أنّ مزاحه ﷺ ليس مزاحاً إلا باعتبار الصورة، فهو لا يخلو عن بشرى فاضلة، أو مصلحة شاملة، أو قاعدة كاملة، فهو في الحقيقة غاية الجد" (٢).

ومنها كذلك أنّ صهيب بن سنان الرومي كان ذات مرة به رمد، فرآه النبي ﷺ وهو يأكل تمرّاً: فقال له: «أتأكل التمر وأنت أرمد»؟ فقال: إنما أكل بالشق الآخري يا رسول الله، فتبسم ﷺ قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه (٣).

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم، فسلمت، فردّ علي وقال: ادخل، فقلت: أكلي يا رسول الله؟ قال: كلك، فدخلت، قيل: إنما قال: أدخل كلي من صغر القبة (٤).

ومن بين تلك المطايبات والممازحات ما روي أنّ خوات بن جبير الأنصاري كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: "يا أبا عبد الله، ما لك مع النسوة؟ فقال: يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود، قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته، ثم عاد فقال: "يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ قال: فسكت

واستحييت ، وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه ، حتى قدمت المدينة ، وبعدها قدمت المدينة قال : فرآني في المسجد يوماً أصلي ، فجلس إليّ فطوّلت فقال : " لا تطوّل فإني أنتظرُك " فلما سلّمتُ ، قال يا أبا عبد الله : أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ " قال : فسكت واستحييت ، فقام ، وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد ، فقال : "أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت ، فقال : "الله أكبر ، الله أكبر ، اللهم اهد أبا عبد الله" قال : فحسن إسلامه وهداه الله^(٥) .

ويتضح لنا من هذه النماذج الآنفه الذكر أنّ النبي ﷺ كان يستخدم المزاح كوسيلة للترويح عن أصحابه -رضوان الله عليهم- أو لتبشيرهم أو الدعاء وغير ذلك.

ثانياً: مزاحه ﷺ مع الصحابيّات

كان ﷺ يمازح الصحابيّات -رضوان الله عليهن- كما تروي لنا كتب السير والشمائل والتراجم ، ومن ذلك على سبيل المثال ما روي عن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- أنه قال : أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها " لا يدخل الجنة عجوز " فبكت فقال : "إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى : (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا)^(٦) .

فهذا الحديث يؤكد لنا ما سبق آنفاً من أنّ النبي ﷺ كان يستخدم المزاح أحياناً كوسيلة للبشارة، حيث إنّ في هذا الحديث تبشير لهذه الصحابة بالجنة، وهي لعمرى بشرى عظيمة ما فوقها بشرى.

وعن زيد بن أسلم: أنّ امرأة يقال لها أمّ أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ زوجي يدعوك، قال: "ومن هو، أهو الذي بعينه بياض؟" قالت: والله ما بعينه بياض! فقال: "بل إنّ بعينه بياضاً" فقالت: لا والله، فقال ﷺ: "ما من أحد إلا وبعينه بياض" وأراد به البياض المحيط بالحدقة^(٧).

ففي مزاحه ﷺ لهذه المرأة المريض زوجها تطيب لنفسها وتسلية لها، وتنفيس عن زوجها من مرضه، والمراد بالبياض بياض العين الطبيعي، إلا أنه ورى بالبياض الذي هو بياض سواد العين: المرض، فانطلت هذه التورية على المرأة^(٨).

ومن تلك النماذج أيضاً أنّ امرأة أخرى جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، احملني على بعير، فقال: "بل نحملك على ابن البعير"، فقالت: ما أصنع به، إنه لا يحملني، فقال ﷺ: "ما من بعير إلا وهو ابن بعير، فكان يمزح به^(٩)".

وفي هذا النموذج فإن ما قام به ﷺ زيادة عن أنه مباسطة، فإن فيه إيماءً وإرشاداً لهذه المرأة ولغيرها بأنه ينبغي على الشخص إذا سمع قولاً أن يتأمله، ولا يبادر بالجواب عليه حتى يدرك غوره، ويعرف معناه، وأن عليه أن لا يسارع إلى الردّ دون تمحيص.

ثالثاً: مزاحه ﷺ مع الزوجات

عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ من أفكه الناس مع نسائه، وروي أنه كان كثير التبسم لهن وممازحتهن. وقد احتفظت لنا كتب السير والشمائل بالعديد من نماذج مزاحه ﷺ مع زوجاته، نذكر من ذلك ما رواه عطاء من أنّ رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ فقال: نعم، قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان مزاحه أنه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً، فقال: هلاًّ البسيه، واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس^(١٠).

وفي مثال آخر روي عن عائشة: -رضي الله عنها- أنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقال: "تعالى حتى أسابقك، فشدت درعي على بطني، ثم خططنا خطأ، فقمنا عليه، واستبقنا، فسبقني وقال:

"هذه مكان ذي المجاز". وذلك أنه جاء يوماً ونحن بذي المجاز، وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء، فقال: "أعطينيه" فأبيت وسعيت، وسعى في أثري فلم يدركني^(١١).

وقالت أيضاً: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني، فسبقني^(١٢).

وتذكر عائشة -رضي الله عنها- نموذجاً آخر من مزاحه ﷺ مع زوجاته، حيث تقول -رضي الله عنها- كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعت حريرة وجئت بها، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلن أو لألطنن به وجهك، فقالت: ما أنا بذائقتة، فأخذت بيدي من الصحيفة شيئاً فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ركبته، لتستقيد مني، فتناولت من الصحيفة شيئاً، فمسحت به وجهي، وجعل رسول الله ﷺ يضحك^(١٣).

وعنها -رضي الله عنها- قالت: لما قدم النبي ﷺ المدينة عرس بصفية فأخبرني، قالت: فتنكرتُ وتنقبتُ فذهبتُ أنظر، فنظر رسول الله ﷺ إليّ عيني فعرفني، فأقبل إليّ فانقلبت راجعة فأسرع المشي فأدركني فاحتضني فقال: كيف رأيت؟ قلت: يهودية بين يهوديات^(١٤).

ومن نماذج مزاحه ﷺ الذي يتعلق بزوجاته، ما روي من أنّ الضحك ابن سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً، فلما بايع النبي ﷺ قال: إنّ عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء - وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب - أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها؟ وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه؛ لأنه كان دميماً^(١٥).

ومن خلال التعرض لهذه النماذج من مزاحه ﷺ مع زوجاته نخلص إلى أنه ﷺ كان تارة هو من يبدؤهن بالمزاح، فيما كنّ تارة أخرى هنّ اللواتي يبدأنه به ويقرهن عليه، الأمر الذي يؤكد لنا أنّ المزاح إذا كان خالياً من الغيبة والنميمة وغيرهما من المسلكيات التي حرّمها الشارع، فإنه يكون مستحباً لما فيه من إفشاء المودة والرحمة.

رابعاً: مزاحه ﷺ مع الأطفال

لقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ليّن العريكة والجانب مع الجميع، ومنهم الأطفال الذين كان يمازحهم أحياناً ويأسطهم، الأمر الذي يدل على تواضعه ﷺ وكرم سجاياه وطيب مناقبه، كيف لا وقد

زكى الله ﷺ أخلاقه في القرآن الكريم ، حيث يقول جلّ من قائل : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(١٦) وتحدث لنا كتب السير والشمائل عن بعض مآزحاته مع الأطفال ، وسنحاول أن نعرض نماذج من هذه المآزحات هنا ، ولنبدأ منها بما رواه علقمة عن أبي سلمة أنه كان ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام ، فيرى الصبي لسانه فيهش له .

ومن هذه المآزحات التي كان ﷺ يوجهها للصبيان ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أنس بلفظ : «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير : -قال أحسبه فطيماً- وكان إذا جاء قال : يا عمير ما فعل النغير^(١٧)؟ نغر كان يلعب به» ... إلخ^(١٨) .

وفي رواية أنّ النبي ﷺ زارهم ذات يوم فقال : يا أمّ سليم ، ما شأنني أرى أبا عمير ابنك خائر^(١٩) النفس؟^(٢٠) .

قال أبو عيسى معلّقاً على هذا الحديث : وفقه هذا الحديث ؛ أي المسائل المستنبطة منه أنّ النبي ﷺ كان يمازح ؛ لأنّ أبا عمير كان له نغر يلعب به ، فمات ، فحزن عليه ، فمازحه النبي ﷺ بهذا الكلام ؛ ليسليه عن حزنه عليه ، وإنما كان ذلك مباسطة^(٢١) .

كما استدلل الإمام ابن حجر في "الفتح" على سنية المزاح بهذا الحديث ، حيث قال : " في الحديث جواز الممازحة ، وتكرير المزاح ، وأنها إباحة سنة لا رخصة ، وأنّ مـمازحة الصبي الذي لم يميّز جائزة ، وتكرير زيارة الممزوح معه ، وفيه ترك التكبر والترفع ، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر ، وفي البيت فيمزح ، وفيه الحكم على ما يظهر من الأمارات في الوجه ، من حزنه وغيره (...) وجواز لعب الصغير بالطير ، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيع اللعب به ، وجواز إنفاق المال في ما يتلهّى به الصغير من المباحات ، (...) وفيه معاشرة الناس على قدر عقولهم" (٢٢).

وذكر ابن القاص في أول كتابه ، أنّ بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يروون أشياء لا فائدة فيها ، ومثل ذلك بحديث أبي عمير هذا ، قال : وما درى أنّ في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا ثم ساقها مبسوطاً (٢٣).

وقد لخصها ابن حجر منه مستوفياً مقاصده ، متبعاً لها بما فتح الله عليه من الزوائد على تلك الستين ، وقد ذكرنا منها هنا ألصقها بالموضوع المتناول.

وعن جابر قال : دخلت على النبي ﷺ والحسن والحسين على ظهره ، وهو يمشي بهما على أربع ويقول : «نعم الجمل جملكما ونعم العبدان أنتما»^(٢٤) .

كما أنه ﷺ مازح أنس بن مالك ، فيما أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : «يا ذا الأذنين»^(٢٥) .

ونخلص من هذه النماذج إلى أنّ النبي ﷺ كان أحياناً يمازح الأطفال ، سواء كان هدفه تطيب خواطرهم وتسليتهم ، كما فعل مع أبي عمير ، أو إضحاكهم وإدخال البهجة إلى قلوبهم ، كما فعل مع الحسن والحسين ، أو التواضع مع خدامه والتقرب منهم ، كما في حالة أنس بن مالك رضي الله عنهم .

المحور الرابع : المزاح والمداعبات عند الصحابة والتابعين

بعد أن ذكرنا في المحور السابق بعض مزاحات النبي ﷺ مع صحابته الكرام ، ومع زوجاته أمهات المؤمنين ، ومع الأطفال والصغار ، فإننا سنخصص هذا المحور لتناول نماذج من مداعبات الصحابة والتابعين رضي

الله عنهم أجمعين ، وسنبداً الحديث هنا بالتعرض لنماذج من مزاح الصحابة مع رسول الله ﷺ (أولاً) لنشفعه بالحديث عن مزاح الصحابة فيما بينهم (ثانياً) ، وتبع ذلك بالتعرض لنماذج من مزاح الصحابة مع نسائهم وأطفالهم (ثالثاً) ، ونختم بالتعرض لنماذج من مزاح التابعين ومداعباتهم (رابعاً).

أولاً: مزاح الصحابة مع رسول الله ﷺ

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يمازحون النبي ﷺ في بعض الأحيان ، ولم يكن ﷺ يغضب من ذلك ولا يتحرج منه ، بل على العكس من ذلك كان يستجيب لهم بل ويشاركهم فيه أحياناً ، ومن ذلك على سبيل المثال ما روي من أنّ عبد الله بن حذافة السهمي ، وهو من الصحابة المشهورين بالمزاح ، قد حل ذات يوم حزام راحلة النبي ﷺ وهو عليها في بعض أسفاره ، فقليل له في ذلك ، فقال : قد علمت أنه نبيّ ، وأنّ الناس لا يضرّونه^(٢٦) .

ومن بين نماذج مزاح صحابته معه ﷺ ما ورد في الصحيحين من أنه ﷺ خرج ذات يوم حين زاغت الشمس فصلّى الظهر ، فلما سلّم قام على المنبر فقال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا ، قال فسأله عبد الله بن

حذافة فقال من أبي؟ فقال أبوك حذافة. فأنتبه أمه حين سمعت بسؤاله النبي ﷺ وقالت له ويحك، ما أحمقك لو نسبك رسول الله ﷺ إلى غير حذافة بين قريش فما كنت فاعلاً؟ وقالت له أأمنت أن تكون أمك قارفت ما تقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟^(٢٧).

ومن بين النماذج كذلك ما وقع لنعيمان بن عمرو الأنصاري، الذي عرف عنه أنه كان لا تدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها شيئاً وجاء به إلى النبي ﷺ فيقول: هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحب الطرفة يطلب نعيمان الثمن أحضره إلى النبي ﷺ وقال: اعط هذا ثمن متاعه، فيقول: أو لم تهده لي؟ فيقول: والله لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه^(٢٨).

ومن القصص التي تروى من مزاحات نعيمان مع رسول الله ﷺ أنه أهدى إليه ذات مرة جرة غسل اشتراها من أعرابي، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي ﷺ فقال: خذ الثمن من هاهنا. فلما قسمها النبي ﷺ نادى الأعرابي: ألا أعطى ثمن عسلي؟! فقال النبي ﷺ: "إحدى هنات نعيمان" وسأله: لم فعلت هذا؟ فقال: أردت برك يا رسول الله، ولم يكن معي شيء. فتبسم النبي ﷺ وأعطى الأعرابي حقه.

ومن مزاحات الصحابة -رضوان الله عليهم- مع النبي ﷺ ما ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة" عن ربيعة بن عثمان قال: أتى أعرابي إلى النبي ﷺ فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض الصحابة لنعيمان الأنصاري: لو نحرتها فأكلناها فإننا قد قرمنا^(٢٩) إلى اللحم. ويغرم رسول الله ﷺ ثناها؟ قال: فنحرها، ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد. فخرج النبي ﷺ فقال: مَنْ فعل هذا؟ فقالوا: نعيمان، فأتبعه يسأل عنه، فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، مستخفياً، فأشار إليه رجل ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بأصبعه حيث هو، فأخرجه رسول ﷺ فقال: "ما حملك على هذا؟" قال: الذين دلوك عليّ يا رسول الله هم الذين أمروني، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك، ثم غرمها للأعرابي^(٣٠).

على الرغم من أنّ العديد من الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يمازحون النبي ﷺ كما ورد في كتب السير والتراجم، فإننا قد ركزنا في النماذج التي عرضنا لها على اثنين من الصحابة الكرام وهما: عبد الله ابن حذافة السهمي، ونعيمان بن عمرو الأنصاري، وذلك عائد إلى كون هذين الصحابييين الجليلين قد تميّزا في هذا المجال أكثر من غيرهما،

فاشتهرت مباحثهم مع النبي ﷺ وخصص لها الرواة حيناً مهماً في سيرهم وتراجمهم حتى طغت على غيرها من القصص.

وتنبؤنا هذه النماذج التي عرضنا لها عن مدى حلم رسول الله ﷺ وكرم أخلاقه، فعلى الرغم من كون بعض هذه المزاحات كانت تحمله بعض الغرامات المالية والتبعات، إلا أنه لم يكن يغضب منها، بل كان يعاملهم بكل لطف ولين، ولا يوجه لهم أي انتقاد، أو يتجهم في وجوههم.

ثانياً: مزاح الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - مع بعضهم البعض

لقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتمازحون فيما بينهم، ويتبادحون بالبطوخ، فإذا جاءت الحقائق كانوا هم الرجال^(٣١).

وفي "مجمع الزوائد" عن قرّة قال: قلت لابن سيرين هل كانوا يتمازحون؟ - يعني الصحابة رضوان الله عليهم - قال ما كانوا إلا كالناس، كان ابن عمر يمزح وينشد^(٣٢):

يحب الخمر من مال الندامي ويكره أن تفارقه الفلوس
ومن مزاحاتهم ومداعباتهم المشتهرة في هذا المضمار ما روي من أنّ عمر بن الخطّاب ﷺ نظر إلى أعرابي قد صلّى صلاة خفيفة، فلما قضاها

قال: اللهم زوجني بالخور العين؛ فقال عمر: يا هذا! أسأت النقد، وأعظمت الخطبة.

ومن النماذج التي تروى عن عمر رضي الله عنه أنه لما تزوج عاتكة بنت زيد المشهورة بعاتكة الشهداء؛ -لأن كل من تزوجها استشهد حتى قيل في ذلك: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة- بالغت في استعمال الطيب وتضمّخت بالعنبر وغيره، فقال عليّ لعمر: ائذن لي أدخل على عاتكة في حاجة لي إليها، فقال: نعم، فأدخل عليها عليّ رأسه من الستر وقال: أين قولك:

فأليت لا تنفك عيني حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبراً
فدفعه عمر بمنكبه وقال: أفسدت علي عرسي، فضحكوا^(٣٣).

ومن ضمن مزاحات الصحابة كذلك ما أخرجه الواقدي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن ناساً من الحبشة تراءهم أهل الشعيبة -ساحل بناحية مكة- في مراكب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث علقمة بن محرز المدلجي في ثلاث مئة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر، فخاض إليهم فهربوا منه، ثم انصرف. فلما كان ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش في الانصراف حيث لم يلقوا كيداً، فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي -وكان يحبّ الدعابة- فنزلوا ببعض الطريق وأوقد القوم ناراً

يصلطون عليها ويصنعون الطعام، فقال: عزمت عليكم ألا تواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم فتحاجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه^(٣٤).

ومن مداعبات الصحابة أيضاً أنّ أبا بكر الصديق خرج إلى الشام، وكان في الحملة سويبط بن حرملة ونعيمان الأنصاري وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد؛ فجاءه نعيمان فقال: أطعمني؛ فقال: لا، حتى يأتي أبو بكر. فقال نعيمان: -وكان رجلاً مضحاكاً- والله لأغيظنك. فجاء إلى ناس جلبوا ظهراً^(٣٥)، فقال ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً وهو ذو لسان؛ ولعله يقول لكم: أنا حر؛ فإن كنتم تاركوه لذلك فدعوه، لا تفسدوا عليّ غلامي، قالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص^(٣٦). فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم هو هذا. فجاء القوم، فقالوا: قد اشتريناك. فقال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر؛ فقالوا: قد أخبرنا خبرك، فطرحوا الحبل في رقبتهم وذهبوا به. فجاء أبو بكر ﷺ فأخبر، فذهب هو وأصحابه، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه. فلما عادوا إلى النبي ﷺ أخبروه الخبر فضحك ﷺ وأصحابه منها حولاً^(٣٧).

ومن ضمن ما يروى كذلك في هذا السياق قصة نعيمان الأنصاري مع مخرمة بن نوفل التي أخرجها ابن حجر في الإصابة قال، قال الزبير: حدثني عمي عن جدي قال: كان مخرمة قد بلغ مئة وخمس عشرة سنة، فقام يوماً في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس، فأتاه نعيمان بن عمرو فتحنى به، ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد، فقال له: بل ها هنا، قال فصاح به الناس، فقال: ويحكم من أتى بي إلى هذا الموضع، قالوا له: نعيمان بن عمرو. قال: أما إنَّ لله عليّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت، قال: فبلغ ذلك نعيمان، فمكث ما شاء الله، ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد، فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان؟ قال: فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان، وكان إذا صلّى لا يلتفت، فقال: دونك هذا نعيمان، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجّه، فصاحوا به ضربت أمير المؤمنين^(٣٨).

وشكا عيينة بن حصن إلى نعيمان صعوبة الصيام فقال: صم الليل، فروي أنه دخل عيينة بن حصن على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان، فقال: العشاء، فقال: أنا صائم، فقال عثمان: الصوم بالليل؟، فقال: هو أخف عليّ، فيقال: إنَّ عثمان قال: إحدى هنات نعيمان^(٣٩).

ويلاحظ من خلال النماذج السابقة من مزاح الصحابة -رضوان الله عليهم- أنّ مزاح بعضهم لبعض كان رسول الله ﷺ يعلم به ويقرّهم عليه، إلا أنه مع ذلك كان في بعض الأحيان يغتنم فرصة ما دار بينهم من مباحثات لينبّههم إلى بعض الأحكام، كما في قصة عبد الله بن حذافة مع الذين كادوا أن يقتحموا النار.

ثالثاً: مزاح الصحابة مع النساء والغلمان

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يقتدون بالنبي ﷺ ويتأسون به في كل أمورهم، ولما كان ﷺ يمازح زوجاته والغلمان، فقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يمازحون زوجاتهم ويتلطفون بهن، وسنعرض هنا باختصار لبعض مزاح الصحابة -رضوان الله عليهم- مع الزوجات.

وسنورد هنا بعض القصص المروية عنهم في ذلك، فمنها قصة عبد الله بن رواحة مع زوجته وهي مروية من وجوه صحاح، وذلك أنه كان مضطجعاً إلى جنب امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت، فخرجت، فرأته على جاريتته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة ثم خرجت وفرغ، فقام، فلقبها تحمل الشفرة، فقال: مهيم، قالت: لو أدركتك حيث رأيتك لوجأت بين كتفيك بهذه الشفرة، قال: وأين رأيتيني؟ قالت:

رأيتك على الجارية، قال: ما رأيتني وقد نهانا رسول الله ﷺ أن يقرأ
أحدنا القرآن وهو جنب، قالت: فاقراً، فقال:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ حَقٌّ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ مَلَائِكَةٌ إِلَهِ مُسَوِّمِينَ

فقالت امرأته صدق الله وكذبت عيني، وكانت لا تقرأ القرآن، ثم غدا
على رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك حتى بدت نواجذه^(٤٠).

ومنها كذلك أنّ عبد الله بن عمر كان يمازح مولاة له فيقول لها:
خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام، فتغضب وتصيح وتبكي،
ويضحك عبد الله بن عمر^(٤١).

وعن عبد الله كثير بن جعفر قال: اقتتل غلمان عبد الله بن العباس
وغلمان عائشة، فأخبرت عائشة بذلك، فخرجت في هودج على بغلة
لها، فلقبها ابن أبي عتيق فقال: أي أمي جعلني الله فداك أين تريدان؟
قالت: بلغني أنّ غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا فركبت لأصلح
بينهم، فقال: يعتق ما يملك إن لم ترجعي، فقالت: يا بني ما الذي

حملك على هذا؟ قال ما انقضى منا يوم الجمل حتى تريدن أن تأتينا بيوم
البغلة^(٤٢).

وخلاصة القول حول النماذج التي عرضنا لها من مزاح الصحابة
-رضوان الله عليهم- مع النساء والغلمان إنّ الصحابة -رضوان الله
عليهم- كانوا يستخدمون المزاح كوسيلة للتخلص من بعض المواقف
الصعبة (مثلما في قصة عبد الله بن رواحة مع زوجته) أو للمازحة مع
مواليهم (كما في نموذج عبد الله بن عمر مع مولاته) أو لممازحة أمهاتهم؛
لما فيه من البر والصلة بهن (حالة عبد بن أبي عتيق مع أمّ المؤمنين رضي
الله عنها) وهي القصة التي كانت بين غلمان عائشة وابن عباس -رضي
الله عنهما- بيد أن مزاحهم ذلك في بعض الأحيان ما كان ليثني من
همّتهم أو يضعف من عزيمتهم في العبادات أو الجهاد، فإذا جاءت
المدلهمات والشدائد كانوا هم الرجال.

رابعاً: مزاح التابعين رحمهم الله

بعد أن تعرّضنا في الصفحات السابقة لنماذج من مزاح النبي ﷺ وبعض
من الممازحات التي دارت بين صحابته الكرام، سنحاول هنا أن نختم
بالتوقف عند نماذج من مزاح التابعين -رحمهم الله- حيث تروي لنا كتب
التراجم العديد من الممازحات التي كانت تدور بين التابعين بعضهم مع

البعض، أو التي كانوا طرفاً فيها مع غيرهم، وأثناء تنقيبنا وبحثنا في تلك الكتب تأكد لدينا أنّ هناك بعض التابعين -رحمهم الله- ممن اشتهروا في هذا المجال، فكانت مداعباتهم عديدة وملاطفاتهم شهيرة، وسنعرض لنماذج من أولئك الذين اشتهروا بذلك من التابعين، نظراً لكون المقام لا يسمح بالتعرض لجميعهم، فمن بينهم نذكر:

أ- **شريح القاضي**^(٤٣): ومما يروى عنه في المزاح والدعابة أنه دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له: أين أنت أصلحك الله؟ فقال: بينك وبين الحائط. كما مر ذات يوم بمجلس من همدان فسلم عليهم، فردّوا عليه وقاموا ورحّبوا به، فقال: يا معشر همدان، إني لأعرف أهل بيت منكم لا يحلّ لهم الكذب، فقالوا: من هم، يا أبا أمية؟! فقال: ما أنا بالذي أخبركم، فجعلوا يسألونه، وتبعوه ميلاً أو قريباً منه يقولون له: من هم؟ وهو يقول: لا أخبركم، فانصرفوا عنه يتلهفون، ليته أخبرنا بهم^(٤٤).

ب- **الإمام أبو حنيفة النعمان**^(٤٥): وكان هذا الإمام -رحمه الله- فيه دعابة مشهورة، فقد رويت عنه مجموعة من القصص الطريفة نذكر منها أنه ذات مرة جاءه رجل، فقال: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل، فألى القبلة أتوجه أو إلى غيرها، فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى ثيابك؛ لئلا تسرق!! ومن بين الطرائف التي تروى عنه أيضاً أنه وقع بين الأعمش وامرأته وحشة، فسأل الأعمش بعض أصحابه -قيل إنه سأل أبا

حنيفة- أن يصلح بينهما، فجاء فقال لها: هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد، فلا يزهديك فيه عمش عينيه، وحموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل رجليه، وجعل يصف، فقال الأعمش: قم عنا، فقد ذكرت لها من عيوبي ما لم تكن تعرفه^(٤٦)!

ت- الشعبي^(٤٧): فقد كان مزاحاً هو الآخر- رحمه الله- فقد سأله رجل عن المسح على اللحية، فقال له: خللها بأصابعك، فقال: أخاف أن لا تبلها، قال الشعبي: إن خفت فأنقعها من أول الليل! ومما يروى عنه أيضاً أنه مر به خياط، وهو مع امرأته فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذا الشعبي: مشيراً إلى المرأة! ومن طرائفه أيضاً أنه سأله رجل فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: ذلك نكاح ما شهدناه. ومن مباحاته التي تروى عنه أيضاً أن رجلاً سأله بخصوص قوله ﷺ «تسحروا ولو بأن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعها في فيه» أي الأصابع؟ فتناول الشعبي إبهام رجليه، وقال: هذه^(٤٨)!

ومما روي عنه أيضاً أنه قيل له: هل تمرض الروح؟ قال: نعم من ظل الثقلاء. قال بعض أصحابه فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت: كيف الروح؟ قال في النزاع^(٤٩)!

بعد عرضنا لهذه النماذج من مزاح التابعين- رضوان الله عليهم أجمعين- يتبين لنا أنها قد صدرت كلها من أعيان معروفين بالعلم والورع والتقوى (شريح، أبو حنيفة، الشعبي) الأمر الذي يدل على

أنّ المزاح لا يتنافى مع تلك الصفات، وأنه إذا لم تتخلله بعض المحظورات الشرعية، فإنه يكون مباحاً ولا شيء فيه، بل يندب أحياناً للترويح عن النفس وتنشيطها للعبادة، والابتعاد بها عن الفتور والملل.

الخاتمة

لقد حاولنا في الوريقات السابقة أن نعالج -بإيجاز شديد- موضوع المزاح والدعابة في الإسلام من خلال قراءة في نماذج من السيرة النبوية وهدى الصحابة والتابعين في هذا الصدد، وقد قادتنا تلك الجولة إلى الخروج بمجموعة من الملاحظات نوجزها في الآتي:

١- أنّ المزاح والدعابة والفكاهة ألفاظ متقاربة جداً، إن لم نقل إنها ألفاظ بمعنى، حيث تعني في غالبها الملاطفة في القول والمباينة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف.

٢- أنّ هذا الموضوع تتقاطع فيه تخصصات عدة؛ لذلك فهو لا تمكن دراسته من زاوية واحدة، فهو إضافة إلى ما سطره أصحاب اللغة والفقهاء، فإنه قد تحدّث عنه الأدباء والأطباء، بالإضافة إلى جهود علماء النفس وعلماء الاجتماع والتاريخ وغير ذلك.

٣- أنّ المزاح هدي نبوي، ومقصد شرعي، وردت أحاديث صحيحة تدل على وقوعه من النبي ﷺ ومن صحبه.

٤- أنّ الموضوع يتنزل ضمن المقاصد الشرعية، قسم المقاصد التحسينية منها؛ لأنه يجري مجرى التحسين والتزيين، وليس فقدانه مخللاً بأمر ضروري ولا حاجي.

٥- أنه لا ينبغي الإكثار من المزاح ولا أن يصير شغلاً للمرء يفني فيه وقته ويضيع عمره، بل يقتصر منه على النزر القليل الذي يريح القلوب ويزيل عنها الغموم والهموم، لا ما يكثر منه الضحك الموجب لقسوة القلوب المؤدية لموتها.

٦- أنّ رسول الله ﷺ قدم لنا نماذج حية من المزاح المطلوب شرعاً والخاضع لقانون الشريعة، غير أنّ مزاحه ﷺ في الحقيقة ليس مزاحاً إلا باعتبار الصورة، إذ لا يخلو عن بشرى فاضلة أو مصلحة شاملة.

٧- أنّ الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كانوا يمزحون مع النبي ﷺ وكانوا يمزحون فيما بينهم، كما أنه أثر عن السلف الصالح روايات من ذلك، غير أنه مع ذلك لم يكن يلهيهم عن كبار المسائل ومهمات الأمور.

وعلى أيّ فإنّ الإسلام كان سبباً إلى الانتباه إلى رسالة المزاح الاجتماعية، فهو قد عده أداة للترويح عن النفس، وإخراجها من حيز الملل، للتمكن من الاستمرار في العبادات والطاعات، كما جعله طريقاً موصلة للألفة بين العشائر والإخوان، والتقريب بين الأهل والخلان، بيد أنّ الإسلام لم يسمح للمزاح أن ينفلت من كل عقاب، ولا أن يتعاطى ويمارس في كل حال، فيستنزف كل أوقات المؤمن وطاقاته، ويصرفه عن عباداته ومعاملاته، وإنما جعل له ضوابط تقيده وحدوداً تحدده، حتى يتمكن من تحقيق غايته السامية وأهدافه النبيلة.

الهوامش:

* أستاذ مادة الحضارة الإسلامية بجامعة محمد الأمين الشنقيطي - انواكشوط / موريتانيا.

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان، مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) باب المزاح والضحك، (١٠٦/١٣).

(٢) شرح الشمائل المحمدية المسمى بالفوائد الجليلة البهية: للعلامة جسوس، مرجع سابق، (٣٢/٢).

- (٣) الجامع المختصر من السنن: للترمذي، تخريج وترقيم وضبط صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (٤٦) كتاب فضائل القرآن، الباب (٢٠) الحديث (٢٩٢٧) ص (٨٢٧) وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي.
- (٤) السنن: لأبي داود: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (٤٢) كتاب الأدب، (٩٢) باب ما جاء في المزاح، الحديث (٥٠٠٢).
- (٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، بدون تاريخ ومكان الطبعة، (١/٦٢٥-٦٢٦).
- (٦) الآيات: ٣٧-٣٩. من سورة الواقعة.
- (٧) شرح الشمائل المحمدية المسمى بالفوائد الجليلية البهية: للعلامة جسوس، مرجع سابق، (٣٢|٢).
- (٨) المرجع السابق: (٣٣|٢).
- (٩) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: للصالح الشامي، بدون تاريخ ومكان الطبعة، (٤/٧/١١٤).
- (١٠) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م (٣٥٦/٧) الحديث (١٨٦٤٦).
- (١١) المراح في المزاح، للعلامة العزي، ص (١٥).
- (١٢) المرجع السابق: ص (١٥).
- (١٣) سنن النسائي الكبرى: للإمام النسائي، تحقيق د/عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: (١٤١١هـ/١٩٩١م) (٢٩١/٥) الحديث (٨٩١٧).
- (١٤) المراح في المزاح: للعزي، مرجع سابق، ص (١٦-١٧).
- (١٥) المرجع السابق: ص (٣٣-٣٤).
- (١٦) الآية (٤) من سورة القلم.

(١٧) النغير: تصغير النغر، وهي طير كالعصافير، حمر المناقير، قال الأزهرى: النغر طائر يشبه العصفور، وتصغيره نغير، ويجمع على نگران، مثل صرد وصردان، وقيل هو صغار العصافير تراه أبداً صغيراً ضاوباً. لسان العرب: مرجع سابق، (٢٢٣/٥) مادة نغر.

(١٨) صحيح البخاري: مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) كتاب الأدب: باب الكنية للصبى وقبل أن يولد للرجل. حديث رقم: (٦٢٠٣).

(١٩) خائر بمعجمة ومثلثة، أي ثقيل النفس غير نشيط.

(٢٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ ابن حجر، طبعة جديدة ومنقحة اعتنى بإخراجها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض الطبعة الأولى: (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) (٥٨٣/١٠).

(٢١) شرح الشمائل: للعلامة جسوس، مرجع سابق، (٢٨|٢).

(٢٢) فتح الباري: لابن حجر، مرجع سابق، (١٠|٥٨٤-٥٨٥).

(٢٣) المرجع السابق والصفحة.

(٢٤) المراح في المزاح: للعلامة العزى، (١٥).

(٢٥) سنن الترمذي: مرجع سابق، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح. الحديث رقم (١٩١٥).

(٢٦) شرح عمود النسب: للعلامة حماد بن الأمين، راجعه وعلّق عليه وكمّله العلامة اباه بن محمد عالي بن نعم العبد، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م (٧٣٢/٢).

(٢٧) صحيح البخاري: (١٣) كتاب مواقيت الصلاة، (١٠) باب وقت الظهر عند الزوال، الحديث (٥١٥) ومسلم: (٤٤) كتاب الفضائل، (٣٦) باب وجوب اتباعه ﷺ الحديث (٦٢٧٠).

(٢٨) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، راجع نصوصه وضبط أعلامه، صدقي جميل العطار، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م (٣٥٨/٥).

(٢٩) القرم بفتحيتين شدة الشهوة إلى اللحم.

(٣٠) أسد الغابة: لابن الأثير، مرجع سابق، (٥٧٦/٤).

(٣١) سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة خصاله المجيدة: بقلم عبد الله سراج الدين، ص ١٥١.

(٣٢) مجمع الزوائد: للهيتمي، مرجع سابق، (٨٩/٨).

(٣٣) شرح عمود النسب: مرجع سابق، (٧١٣/٢-٧١٤).

(٣٤) كتاب المغازي: الواقدي: (٩٨٣/١ - ٩٨٤).

(٣٥) الظهر بالفتح وسكون الهاء: الإبل التي يحمل عليها وتركب.

(٣٦) القلائص جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

(٣٧) أسد الغابة: لابن الأثير، مرجع سابق، (٥٧٥-٥٧٦/٤).

(٣٨) الإصابة: لابن حجر، مرجع سابق، (٣٥٨/٥).

(٣٩) المرجع السابق، (٣٥٨/٥).

(٤٠) تنظر القصة في الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، تحقيق وتعليق

الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية،

بيروت-لبنان. الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م (٣٦-٣٥/٣) وكتاب المراح في

المراح: للعزي، (٣٤-٣٥).

(٤١) المراح في المراح: للعزي، ص (٣١-٣٢).

(٤٢) المراح في المراح: للعزي، ص (٣١-٣٢).

(٤٣) هو سيد التابعين شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: (٧٨هـ = ٦٩٧م) من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧هـ وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمّر طويلاً، ومات بالكوفة. ترجمته في *حلية الأولياء*: لأبي نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ (١٣٢/٤) و*الأعلام*: للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، (١٦١/٣).

(٤٤) *المراح في المزاح*: للعزي، ص (٥٤).

(٤٥) هو الإمام أبو حنيفة غني عن التعريف (٨٠-١٥٠هـ/٩٩-٧٦٧م) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. كان قوي الحجّة، من أحسن الناس منطقاً، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته! وأخباره لا يمكن استقصاؤها هنا. ترجمته في *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*: لابن خلكان، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م (٤٠٥/٥) و*الأعلام*: للزركلي، مرجع سابق، (٣٦/٨)

(٤٦) *المراح في المزاح*: للعزي، ص (٥٣).

(٤٧) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي، أبو عمرو: (١٩-١٠٣هـ/٤٠-٧٢١م) راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان سميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر. وسئل عمّا بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا

حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً، شاعراً. ترجمته في حلية الأولياء: لأبي نعيم، مرجع سابق، (٣١٠/٤) والأعلام: للزركلي، مرجع سابق، (٢٥١/٣).

(٤٨) المراح في المزاح: للعزي، ص(٤٠).

(٤٩) أخبار الظرفاء والمتماجنين: لابن الجوزي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، ص(٦٢).

تصحیحات الیمینی وإضافاته

على حواش لسمط اللالی

(المطبوع بتحقیقه عام ۱۹۳۶م)

(۲)

بقلم: د. أحمد خان*

- ص "۶۱۴" س ۱۸ = قول الباهلی فی محاسن الجاحظ ۹۷. وهنا بأخر السطر أفادنا أنها الكلمة الریح موضع "الأرض".
- ص "۶۲۶" س ۲۰-۱۹ = هنا وردت الأیبات لفاطمة بنت الأحجم، وأفادنا عن مصدرها الآخر، الأخیران فی البیان ۱۷۸/۱.

- ص "٦٢٩" س٩ = ضمن أبيات مقرن أفادنا الميمني وجودها :
والأبيات فضلاً عن التبريزي في طرة معجم المرزباني ٨.
- ص "٦٣٠" س٧ = إفادة من الميمني حول سهوان أبي علي ،
فهني : السهوان لأبي بكر بن دريد ، وأبو علي منهما براء.
- ص "٦٣٠" س١٩ = ونقل عن معاني الأشنانداني ، وليس في
طبعته ، وأفادنا ضمنها ؛ ثم وجدتها في ذيله الثالث المخطوط
رقم ٢١٣ (من أية مكتبة؟).
- ص "٦٥١" س١٣ = ورد هنا والأشطار لأبي المجيب الربعي ،
وأشار الميمني أنها وردت في الفهرست ١٠٣.
- ص "٦٥٤" س٢١ = هنا أضاف في الحاشية الرقم (٥) في
نسخة مجالس ثعلب بالدار ص ٧٤ ، ولطبعته ٢٨٤.
- ص "٦٥٩" س١٤ = ضمن بيت :
إذا مذلت رجلي دعوتك أشتفي بذكراك من مذل بها فيهون
أفادنا الميمني أنه : لكثير في عيار الشعر ٣٥.
- ص "٦٦٥" س أخير الصفحة = هنا صحح اسم الرقاد بـ
الرقاد.
- ص "٦٦٩" س ٣-٢ = ورد هنا بيتان ، وأفادنا الميمني فأشار
إلى أنّ الأبيات في نزهة الأبصار والأسماع ٥١.
- ص "٦٧٠" س١٨ = ورد ابن الحاركي في الحاشية الرقم (٢) ،
وصححه الميمني أنه ابن الحاركي ، بالحاء المعجمة.

- ص "٦٧٠" س ١٩ = ورد في الحاشية : الرقم (٣) أنشدنا أبو عميرة النميري ، وصححه الميمني ب أبو خالد النميري.
- ص "٦٧٠" س ٢١ = بآخر الحاشية : وفي ديوانه صنع حمزة .١٧٥
- ص "٦٧١" س ٢ = رواية أخرى لبيت الذكواني : والفحش مسبوب ، في الحيوان.
- ص "٦٧١" س ٤ = قوم الكلمة في البيت : الأكنان ، وهي جمع الكنّ.
- ص "٦٧٣" س ٣ = كما قال الآخر ، وأفادنا الميمني أنه خالد بن علقمة بن علاثة ، في الوحشيات ١٢٠ .
- ص "٦٧٩" س ١٨ = شطب العبارة من الحاشية الرقم (١) : البيت أخلت به القصيدة ، وهو بعد :
صبحن بني عبس البيت في شرح المختار من أشعار بشّار ، من كلمة في ٤١ بيتاً في منتهى الطلب وقد مر ٤٥٩ .
- ص "٦٨٠" س أخير من الصفحة = أضاف بآخر الحاشية (٢) :
وأربعة في خيل أبي عبيدة ١٦٧ .
- ص "٦٨٤" س ١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (٣) بعد د ٢٩ ومعاني العسكري ١٢٥/٢ .
- ص "٦٩٥" س ٢٠ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) بعد... في الشعراء ٤٧٩ ، و ٨ في طبقات ابن المعتز ٥ .

- ص "٦٩٦" س ١٧ = بآخر الحاشية الرقم (١)، بعد البكري وهو من بيتين لعيش بن المطر السامري في نقد الشعر ٤٤.
 - ص "٦٩٦" س الأخير من الصفحة = أضاف بعد اسم ورد بن ورد الجعدي: والأدباء ٣٨٨/٥، وسمّاه وردا الجعدي.
 - ص "٦٩٧" س ١٦ = أضاف في الحاشية السابقة، بعد اسم الجهشياري ٢٣٧: الورقة ٣ ذكراه وسمّياه.
 - ص "٧٠٢" س ١٨ = أخبرنا الميمني أنه سقط هنا بعد: ❖ حتى إذا أجرس كل طائر ❖ شطران:
- وأجأ الكلب إلى المآخر تميّز الليل لأحوى جآشر
- ص "٧١٧" س ١٧ = هنا رواية الطنجي، وصححها بالطبيخي.
 - ص "٧٢٥" س ٢ = أفادنا الميمني بمصدرين لبيت ابن أحمر: المعاني طرة ٨٧، والمطبوع ٦٨٣، والحيوان ١٤٦/٥.
 - ص "٧٤٥" س ١٧-١٦ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) بعد مرثيته هذه في الأوراق ١٣٥. وبعد عبارة: وترى ترجمة أشجع في الأوراق، والخالديان ٣٧٦ لمعروف بن مالك النهشلي.
 - ص "٧٤٨" س ١٥ = أضاف الميمني في الحاشية الرقم (٢) بعد والجمهرة ٤٠/١، والفصول ٤٤٣، والمعاني ١٠٦٧.

- ص "٧٥٣" س الأخير من الصفحة = أفاد الميمني أنه كلمة "يوما" في المعاني مكان "فوقا". وأضاف بآخرها شعراء النصرانية بعد الإسلام ٨٤، عن جمهرة الإسلام أربعة، وبيتان في المعاني ١٤ ب، والحيوان ١٣١/٥.
- ص "٧٦٢" س الأخير من الصفحة = أضاف الميمني هنا: وإنما ذهب إليه أن لابن هرمة كلمة سائرة في الوزن والقافية منها: كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا
- ص "٧٦٤" س ٢٠ = أضاف في الحاشية الرقم (٤) بعد في إبل الأصمعي ٨٦: ومعاني العسكري ١٢٧/٢.
- ص "٧٦٨" س ١٤ = بيت جرير الخطفى ورد في المعاني ٣٦٨ دون عزو.
- ص "٧٧٢" س ٦ = جاء الميمني بمصدر لبيت الراعي، فأورد أنه في معاني القتيبي ٤٠٩، وأثناء جمع نوى مقلوباً، ول ١٨٠/١٧.
- ص "٧٧٢" س ١١ = قال لبيت نابغة بني جعده، انظر الجمحي فقرة ٢٢٤.
- ص "٧٧٣" س ١١-١٠ = أخبرنا الميمني ضمن هذين البيتين أنهما لابن الغريرة النهشلي في أوس بن مالك الجرمي برواية: "يا أوس ما طلعت ... وباختلاف في رواية الثالثة عند المرزباني رقم ٤٨.

- ص "٧٧٦" س ٩ = ورد البيت هنا للفرزدق وأورد الميمني مصدرًا آخر وقال: البيت في سيويه ٢٢٧/٢.
 - ص "٧٧٧" السطر ما قبل الأخير = أضاف هنا بعد: والأبيات أربعة عند الهجري ٨٨، وخمسة في الاقتضاب.
 - ص "٧٨٨" س ١٣ = أفادنا الميمني أن البيت في المعاني ٣٩٤.
 - ص "٧٩٠" س ٢ = هنا بيت لسلمى بن غويّة، وأخبر الميمني أنه في مجالس ثعلب ١٢١، وطبعته الأولى ٢٩٥/١، الثانية ٢٤٥/١.
 - ص "٧٩١" س ٩-٧ = بشأن المضرب بن كعب إفادة من الميمني: أمالي ابن دريد ص ٢٩، قال أبو عبيدة: كان عقبه بن زهير بن أبي سلمى يشبب بسلمى إحدى نساء بني الجليح فتوعدوه، فقال:
- تذكر سلمى أنه لطروب من ١٥ بيتًا فيها بيت القالي الثامن.
- ص "٧٩٥" س ٢ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١): وطبعة أشباه الخالدين ٦١/١.
 - ص "٧٩٩" س ١٢ = هنا لا يعرف في العرب بنوهليك. وأفادنا الميمني: وأخاف أنّ هليك مصحف لهليل مكبراً بالإمالة، كما قالوا في هلال بن المحسن الهمليل، في نشوار الأدباء. فهذا تصحف قديم جداً، الميمني. (وقع الميمني بآخر الإفادة،

ويبدو أنّ الإفادة التي يعتبرها أستاذنا هامة وفي نظره تحتاج الانتباه، يوقع بأخرها).

● ص "٨٠٠" س ١٨ = هنا ورد في الحاشية الرقم (٢) اسم عبدالمسيح بن بقله، وأشار الميمني أنّ ترجمته في الديارات .١٥٤

● ص "٨٠٧" س ١ = هنا هذا البيت لعبدالله بن محمد بن عباد والخولاني، قاله الهمداني في كتاب الإكليل. وأورد الميمني خبراً عن هذا الشاعر غيره، وقال: الذي رأيته فيه (أي الإكليل) ٢٤٥/١، أنه أنشده له مسلمة الخيواني. وابن حازم الصدي قال: وسألت أولاده عن هذا البيت فشكّوا فيه.

● ص "٨٠٨" ما قبل الأخير من الصفحة = أضاف الميمني بأخر الحاشية الرقم (٥): هذا، وذكر النجاشي في فهرسته ١١٦ بومبائي في ترجمة دعبل، أنّ له كتاب الواحدة في مثالب العرب ومناقبها.

● ص "٨١٥" س ٨ = ورد في الكتاب اسم أحمد النصيبي، فأفاد الميمني: والصواب في غ الدار، النصيبي.

● ص "٨١٥" السطر الأخير = أضاف بأخر الحاشية الرقم ٧: ثم رأيت ابن أبي عون ٢٨٠ نسبهما للحكم بن قنبر.

● ص "٨٢١" س ٦ = أورد هنا الإفادة: الوصية في لباب الآداب .٢٢

- ص "٨٢٥" س ٧-٦ = أورد ضمن قول صاعد بن الحسين ، أنه من أصل الهجري ٧ في ١١ بيتًا بلا عزو ، وروايته : ❖ أوقدتها بذى حسا ❖ وليس منها بيتا صاعد.
- ص "٨٢٦" س ٩ = صحح الكلمة في بيت عمرو بن شأس بـ"أن تكوني" مكان "أن تكون" ، في البيت.
- ص "٨٢٦" س ٢٠ = وأضاف في الحاشية الرقم (٤) بعد الأبيات سبعة في أخباره من غ ١٠/٦٢ ، وستة في البصرية ، وبيتان
- ص "٨٢٧" س ١٦ = وأضاف في الحاشية الرقم (١) بعد في الشعراء ٤٠٦ ، و ١١ في البصرية.
- ص "٨٢٨" س ١ = ضمن بيت أبي يزيد العقيلي ، أخبرنا أنه في أصل المعاني ٣٦٦. (❖)
- ص "٨٣٠" س ١٥ = أنشد أبو علي :
-
- كأنما كسرت سواعده ثم وعى جرحه وما التأما
وأفاد الميمني أنّ البيت لابن قيس الرقيات من كلمة ص ٢٥٩ ،
٣١/٦١ ، و الفصول ٤٠٨ (❖).
- ص ٨٣١ س ١٣ = وأضاف المصدر الآخر بآخر... والإبل ٨٩
و الفصول ٤٠٩ .

- ص ٨٣٤ س ٦ = أنشد أبو علي :
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شجرات
وأفاد الميمني أن البيت مع آخرين بلا عزو في رسائل الوطواط
٧٨/١. ثم أضاف في الحاشية للبيت : ثم وجدته في
المحاضرات ٣٤٦/٢ خثعمة البكائي ، وأنشد بيتين (إذا كان)
وآخر ليس هنا.
- ص "٨٣٩" س ٩ = أنشد أبو علي بيتا ، وأخبرنا الميمني أنه ورد
في المعاني ٣٧ ب (❖).
- ص "٨٣٩" س ١٦-١٥ = هنا بيت للمهلبى ، وأفادنا أستاذنا
أنهما بيتان له في طراز المجالس ط سنة ١٢٨٤ هـ ، ص ٢٠١.
- ص "٨٤٠" س ١٦ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١) : في
أحسن ما سمعت ٥٢ بلا عزو.
- ص "٨٤٢" س ١٤ = هنا أضاف حاشية كاملة الرقم (٦) على
إنشاد أبي علي شعراً : عن أحمد بن يحيى ، ورأيته في نسخة
مجالسه بالدار ص ١٣ ، عن ابن الأعرابي لأبي السمح ،
والأبيات ثلاثة في خبر برواية اسحق الموصلي ، في بلاغات
النساء ١٤١ .

- ص "٨٤٨" س ما قبل الأخير في الصفحة = هنا صحح جزء الحماسة المذكور في الحاشية، وهو صوابه ٤، حيث إنه كان في المطبوع ٣.
- ص "٨٥٥" س ٩ = هنا ورد بيت للعطوي. وأخبرنا الأستاذ: أربعة الكامل في ابن أبي الحديد ٥٣٦/٢.
- ص "٨٥٦" السطر الأخير من الصفحة = وأضاف بعد اسم محمد ابن عبيد الأزدي: وثلاثة أخرى عند المرزباني ٤١٧، وسمّاه كالبحثري.
- ص "٨٥٩" س ٣ = قوّم الكلمة "أَسِيد" بـ "أُسَيْد" في البيت المذكور هنا.
- ص "٨٥٩" س ١٣ = صحح الاسم هنا من مرة بن عدي الفقعسي إلى مرة بن عداء الفقعسي.
- ص "٨٦٠" س ٢١ = أضاف في الحاشية الرقم (٣) حول كلمة "فلماً ترك الألف ألقى الفتح"، كذا في فصول المعري ١٠٦.
- ص "٨٦٢" س ١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) بعد "وانظر البيت في": الحيوان ١٠١/٥، و....
- ص "٨٦٥" س ٧ = هنا إفادة حول أبي البيداء: وترى في الورقة رقم ٥ في ترجمته بعض أبيات من مقصودته.

- ص "٨٧١" س٦ = هنا إفادة حول أبي الذئبال : ترجم له ابن الجراح رقم ٢٢ ، وسمّاه أبا فرعون الساسي اشويسا (؟) ، وابن المعتز ص٣٧٦ [ط دار المعارف].
- ص "٨٧٢" س١٨ = أشار إلى مصدر آخر لبيتين ورد هنا في الحاشية الرقم (٢) : الكامل ١١٩ .
- ص "٨٨٩" س١٢ = أفاد هنا ضمن بيت عدي بن زيد ، أنه في المعاني للقتبي ٤٧٤ .
- ص "٨٩٢" السطر الأخير من الصفحة = أشار إلى اختلاف الكلمة الواردة في البيت : والأصلان (نمدّ لهم) ، وفي المعاني "يمدّ لهم" . وأضاف في المصادر : وثلاثة في البخلاء ٢٠٢ سنة ١٩٤٨ م .
- ص "٨٩٨" س١٥ = صحح كلمة في البيت من برُكبتَه إلى برِكبتَه .
- ص "٩٠٤" س١٣ = أشار إلى مصدر البيت : المعاني ٣٢٥ ، معاني أبي هلال ٣٥٤/١ .
- ص "٩٠٥" السطر الأخير من الصفحة = أضاف في الحاشية الرقم (٦) بآخرها : ثم رأيتهما بآخر معاني الأشنانداني (خطي) ، والنويري ٥٤/٧ .

- ص "٩١٤" س ١٠ = هنا أضاف أولاً : مطلع كلمة له في مجالس ثعلب ص ١٢٥ أصل الدار في ١٢ بيتًا، يهجو بني معاوية بن قشير، ثم شطب الإفادة.
- ص "٩١٧" س ١١ = أشار إلى مصدر البيت وقائله : في أمالي الزجاجي ٦٧ ، والبيت للجعدي.
- ص "٩٢٤" السطر الأخير من الصفحة = أضاف في الحاشية الرقم (٤) بعد ابن الشجري ١٥٣ : وهي ١١ بيتا لرجل من جشم بن معاوية ، في إيضاح النمري ٣٢ ، أصل الدار.
- ص "٩٢٦" س ١٠ = أفاد هنا لـ "أنشدها غير واحد" وأشار إلى المرزباني ٤٠٩.
- ص "٩٢٦" س ٢٠ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١) : وهي تسعة بتفسيرها رواية ابن دريد عن الأشنانداني في آخر نسخة معانيه بالظاهرية بدمشق ، وفيه الثلاثة التي ذكر هي أيام حمة وأيام ذي تمور ولحباله أذ هو يافع والرابع بعد المشيب ، هو قوله :

أقاتلتي بعد الذماء.. أهـ

قلت : يريد بيته :

أم تجمع لي دون أيام حمته وأيام ذي قدر عليّ الرواجع

- ص "٩٢٨" س ٢٠ = أضاف في الحاشية الرقم (١): والخالدیان والمغربية ١٤٨.
- ص "٩٣٠" س ١٧ = صحح كلمة "فعلت" بـ "فعلت".
- ص "٩٣٤" س ٨ = أضاف السقطة بعد "تفسير أبي": علي.
- ص "٩٣٨" س ٥ = أفاد ضمن بيت للشاعر: هما بيتان في ديوان ابن عبدالمملك الزيات، ص ٣.
- ص "٩٣٩" الأخير من الصفحة = وأضاف في الحاشية الرقم (٤): ومنتهى الطلب في ٢٣ بيتاً.
- ص "٩٤٠" س ٢٠ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١): والأول لأبي سعد المخزومي يقوله محمد بن منصور في المحدثين ١٣٦. [طبقات ابن المعتز (ط مصر) ٢٩٦]
- ص "٩٤٨" س ٢٠ = أضاف بعد الشطر "ألا ليت ريعان الشباب": وزاد الهجري ٣٧٦ فيها أربعة أبيات.
- ص "٩٥٠" س ٩ = صحح كلمة "تنائهم" بـ "تناديهم"، في بيت قصي بن كلاب.
- ص "٩٥٩" السطر ما قبل الآخر في الصفحة = أضاف بعد الحاشية الرقم (٣): وابن أبي عون ٢١٦.
- ص "٩٦٠" س ٨ = أرجح الكلمة في الشطر من "الداججا" بـ "الدأرجا".

- ص "٩٦١" س ١٧ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١):
ومجالس ثعلب ٢٨٨/١.
- ص "٩٦٦" س ٩ = أفاد ضمن بيت بنت علي بن الربيع
الحارثي: - ثم رأيت الأول مطلع ١٥ بيتاً لأشجع السلمي يرثي
أخاه، في الأوراق (الشعراء) ١٣٢.
- ص آخر سمط اللآلي س ١٩ = صحح الكلمة "لم يُرِم" بـ "لم
يُرِم".



الجزء الثالث من سمط اللآلي وهو ذيل الأمالي

- الصفحة الأولى س ١٤ = أفاد ضمن بيت في السطر: الأبيات
سبعة باختلاف في أخلاق الوزيرين ٣٧٤، لابن منظور
الفقعسي.
- ص "٩" س ١٢ = في رواية المبرّد: وكذا طبقات ابن المعتز ٩٥.
- ص "١٠" س ١ = بدل اسم "القتبي" بـ "الليثي".
- ص "١٠" س ١٥ = ضمن إنشاد البيت لثبّت أشار إلى
المصدر: الحيوان ٨٦/٤.
- ص "١٠" س ١٨ = أيد في صحة الكلمة (تدهده القرآن)، بـ:
وكذا في نسخة نور القبس ٦٠ ب.

- ص "١٠" س ٢١ = أضاف مصدراً قبل الشعراء ٥٤٣ من الحاشية الرقم (١): الحيوان ٣/٣٥.
- ص "١١" س ١ = أشار إلى مصدر ضمن الأبيات: وابن أبي عون ٢٧٨.
- ص "١١" س ١٩-١٨ = أفاد ضمن الأبيات المذكورة: وفي الزهرة ٣٢٤، ٦ أبيات من أولها لأبي صخر الهذلي، ولكن أخلّ بها أشعار هذيل.
- ص "١٥" بآخر الصفحة = ضمن الحاشية الرقم (٦) أورد: الغرر والعرر ٧/١، وحماسة العبدلكاني.
- ص "١٦" س ١١ = إفادة في خبر عبدالله بن خازم: المرزباني ٢٢٣-٣٣٩ ط البابي [للقمقام بن العباهل بن... سحيم بن العزيز، وهو مع الثاني أو الثالث ملك حضرموت واليمن. انظر لبعض أخباره في الشجاعة، المحبّر ٢٢٢، وابن عساكر ٣٧٦/٧.
- ص "١٧" س ١٦ = أفاد ضمن اسم ابن عرادة: ومحمد بن عرادة ابن النميري (صوابه التميمي) ترجم له المرزباني ص ٤١٤ [معجم الشعراء ٣٤٧ ط البابي].
- ص "١٧" س ١٩ = أشار إلى قائل البيت المذكور هنا: لحنظلة البغال ٤٣، الجهشياري ١٦٦.

- ص "١٩" س ١-١١ = أشار إلى مصدر ضمن هذه الأبيات :
سبعة منها في نزهة الأبصار والأسماع ٣٠.
- ص "٢١" س ٩ = افادة ضمن بيت القاسم : في لباب الآداب
٣٦٥ لكعب بن جعيل ، وقال ضمن البيتين الأخيرين :
وهذان الأخيران بزيادة آخرين للقاسم ، في المرزباني ٣٣٢.
- ص "٢٢" س ٢٠ = ضمن بيت حماسي أفادنا الميمني : ثم
وجدت الخمسة كلها في ترجمة المهلب ، من الوفيات رقم
٧٨١.
- ص ٢٢ س ٢٦ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (٦) : وأمالى ابن
دريد ص ٥٢.
- ص "٢٢" بآخر الحاشية الرقم (٩) من هذه الصفحة =
والوحشيات رقم ٢٧٢.
- ص "٢٣" س ١٣ = أفادنا ضمن خبر ابن عبدل أنه : في جواهر
الخصري ٨٢.
- ص "٢٣" س ١٤ = أخبرنا عن زلاته المعدودة وقال : تبع فيه
ابن دريد في أماليه ص ٦ نسخة الناصرية بتمكروت.
- ص "٢٤" س ٦ = أضاف على "الأبيات الأربعة" للجاحظ :
وأبياته على الهمز ، أنشدها ابن المعتز ١٧٧/٣٧٥ ، وهي
ثلاثة ، وابن دريد في أماليه ص ٧ نسخة الناصرية بتمكروت
المغرب.

- ص "٢٤" س ٢١ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) قبل الشريشي: ابن ماکولا، وبعد الحصري ١/١٤٧، جواهره ٩٤، وبآخر الحاشية: ترجم له ابن المعتز ١٧٦، والخطيب ١١٤٣، الجواهر ٩٤.
- ص ٢٤ س ٢٦ = و صوب رقم الصفحة في الحاشية الرقم (٩): البيان ١٢٦/٣.
- ص "٢٦" س ٢٣ = أضاف المصدر في الحاشية الرقم (٤)، وذلك: أمالي ابن دريد ص ٩٧، قبل ابن عساكر.
- ص "٣١" س ٦ = إفادة ضمن البيتين اختلف في قائلهما: البيتان في لباب الآداب ٣٢٢ بلا عزو.
- ص "٣٢" س ٢١ = إفادة ضمن البيت: وكذا ياقوت في معجمه برواية: "نخور الفيول"، وزاد ثالثاً ب: قد غمرنا، وقد رأينا لدى السحيرة في الشلخين خير قتيل وهذه غير سلحين التي باليمن؛ وعزاها لهائى بن...
- ص "٣٢" س ٢٦ = وأضاف الحاشية (٩) سيلحون، بآخر الصفحة، وذلك لبيت من إنشاد الليثي.
- ص "٣٤" س ٢٥ = أضاف في الحاشية الرقم (٨) بعد الحيوان ٢٠/٣، ومعاني القتيبي ٦٤٤.

- ص "٣٤" س ٢٥ = ضمن بيت امرأة، أفاد الميمني : ثم وجدت ياقوت في أدبائه ١٩٩/٢ نسب لأبي ردماء (كذا) فيما أنشده الأصمعي فيما رواه أبو خالد النميري.
- ص "٣٥" س ٢٣ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (٣) : و ترجم له ابن المعتز في المحدثين ١٤٤ ، وابن الجراح في الورقة رقم ٣.
- ص "٣٥" س ٢٤ = قوم العبارة في الحاشية الرقم (٤) هكذا: وفي الفهرست أن شعره في خمسين ورقة، وشطب منها "يناقضه ما"، وبعد الفهرست "من". وأضاف بآخر الحاشية: وسرد له ابن المعتز قطعتين.
- ص "٣٦" س ٤ = ضمن أبيات دعبل الخزاعي : الأبيات أربعة في الورقة رقم ٤٥.
- ص "٣٦" س ٥ = أفاد ضمن المخرق : له ترجمة في الورقة برقم ٤٥.
- ص "٣٦" س ٢٢ = ضمن البيتين اختلف في نسبتها : ثم رأيت البيتين عزاها ابن المعتز في المحدثين ١٣٦.
- ص "٤٣" س ١ = صحح الكلمة في البيت ، هي تنمي مكان ترمي.
- ص "٤٣" س ٢ = ضمن أبي العبر ، أشار إلى المصادر: الفهرست ١٥٣ ، الخطيب ٢٣٩٤ ، وجمهرة النسب ٣٢.

- ص "٤٣" س ٢٠ = أبيات مالك بن أسماء في أمالي ابن دريد
ص ٦٤ لأسماء بن خارجة.
- ص "٤٣" س ٢١ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١): وفي
طبقات ابن المعتز ١٦٢ أحمد بن
- ص "٤٥" س ٥ = قال: ولا أدري لمن هذا المصراع: ❖ إذا ما
مرّ يوم مرّ بعضي ❖ وأخبرنا الميمني بأنه لصالح بن
عبد القدوس من أبيات في نكت الهميان ٧٢، وبيتين،
الشريشي ٥٣/٢، الورقة رقم ٤٨.
- ص "٤٧" س ٩ = هنا أنشد للحزين الدؤلي، وأفادنا الميمني:
الأبيات أربعة في البلدان (دابق) للحارث بن الدئل، وما هو
إلا الحزين حُرّف.
- ص "٥٣" س ١ = أفاد ضمن أبيات دعبل: الأبيات ١٧ في
الديوان ط سنة ١٩٦٤ م، رقم ٤٢ ص ٧٨، ثم زادها صانعه
في مجلة المجمع سنة ١٩٦٦ م عن البصائر (رامبور) إلى ٣٤ بيتاً.
- ص "٥٥" س ١٨ = أشار إلى مصدر لبيت الرياشي: ابن
عساكر ٢/٧.
- ص "٥٦" ما قبل الأخير في الصفحة = أضاف بآخر الحاشية
الرقم (١٠): وفي منتهى الطلب في ٥٨ بيتاً.

- ص "٥٨" س ٣= أورد ضمن أبيات ابن قنبر بعد "باختلاف غير هين": وعزاها ابن عساكر ١١٦/٧ لأبي الأسود الدؤلي، وهي عنده ١١ بيتاً.
- ص "٦١" س ٦= هنا ذكر اختيار المفضل، وأورد الميمني بهامش الصفحة: في فوائد النجيري بخطه: قال العباس بن بكار الضبي، قلت للمفضل الضبي: ما أحسن اختيارك للأشعار، فلوزدتنا في اختيارك، فقال: والله ما هذا الاختيار لي، ولكن إبراهيم بن عبدالله استتر عندي فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار فيأنس ويحدثني، ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياماً، فقال لي: اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيه (؟)، فتركت عنده قمطرين من أشعار وأخبار، فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار، وكان أحفظ الناس للشعر، فجمعته وأخرجته، فقال الناس، اختيار المفضل، ١هـ. وروى الخبر أبو الفرج في مقاتل الطالبين له، ط سنة ١٣٥٣هـ: ٢٢٩ و ٢٥١، وفيه أن اختياره السد (؟) كلمة صدر المفضل بها - والباقي من اختيار نفسه.. المزهر ٢/٢٠٢، وعمدة الطالب ٨٥، وفي نسخة فرحة الأديب ٢٩، ٤ - قال أبو عثمان المازني: حملنا منتخبات المفضل فقرأناها على الأصمعي، فكل ما كان فيها من أشعار الشعراء المعروفين، أجب فيها: فلما صرنا إلى أشعار القبائل بلح فيها أبو سـ.

[قال أحمد خان: إنَّ الأستاذ قد نشر مقالا "المفضليات
صاحبها الأصلي"، وأورد فيه هذا الرأي وأيده بالمصادر
الأخرى].

● ص "٦١" س ١١ = أفاد الميمني ضمن اسم ابن الوداع فقال:
جاء ذكره في أخبار أبي تمام للصولي ١٨٨ باسم الحسين بن
وداع كاتب الحسن بن رجاء. وآخر يدعى عبدالله بن محمد بن
وداع، ترجم له، الفهرست.

● ص "٦١" س ٢٠ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (٣٩): مطبوعة
ص ٦٠٨.

● ص "٦٩" س ٢٤ = أضاف في الحاشية الرقم (٣)، بعد كلمة
"فيه ٢٤٨": والأبيات ٢٤-٢٦، و ٣٥ و ٣٦ فيه ٢٠٢.

● ص "٧٥" س ١٧ = بعد هذا البيت أضاف الميمني بيت آخر،
وهو هذا:

جميل المحيا واضح اللون لم يظأ بجزن ولم تألم له النكب إصبغُ

● ص "٧٥" س ٢٤ = وأضاف في الحاشية الرقم (٤) بعد أنساب
الأشراف ٢٥٥/١١، و ١٠٧/٥.

● ص "٧٦" س ٤ = أفاد ضمن أبيات ابن أحمر: والأبيات في
أصل المعاني ٤٣٠.

● ص "٧٧" س ١-٢ = أشار إلى أبيات أشجع السلمي: والأربعة
من شعره له في الأوراق ٩٤/١.

- ص "٧٧" س ٩ = أشار ضمن أبيات كثير عزة، وأخبر أنها في المعاهد ٢٤١ (ط بولاق). والوحشيات رقم ٤.
- ص "٧٧" س ١١ = ضمن أبيات المضرب بن كعب، أخبر هكذا: وفي ديوان كعب [ص] ٢٣٩ له ولعقبه ٢١ بيتاً.
- ص "٨٥" س ٦ = ضمن نسبة البيتين، قال: البيتان في مجالس ثعلب ٤٢٣/٢ لمحمد بن مناذر.
- ص "٩٠" س ١٢ = ضمن بيت، أخبر بأنه في: الخالديان ٢٤٩.
- ص "٩٣" س ٢٣ = أضاف في الحاشية الرقم (١): المحبر ٤٥٧.
- ص "٩٥" س ١ = في شأن رجز ابن ميادة: الرجز في مجالس ثعلب، ج ٢ ص ٥٠٦ الأولى.
- ص "٩٧" السطر الأخير من الصفحة = أضاف في الحاشية الرقم (٥): ابن المعتز ١٤٦.
- ص "٩٨" س ٢٣ = بآخر الحاشية الرقم (٢)، أضاف: ولعقل بن حجاج في نقد الشعر ٤٧.
- ص "٩٩" س ١ = ونسبها أبو حاتم في كتاب الطير، وكشاجم في المصايد، له ٢٧٨.
- ص "١٠٠" س ١٥ = والأبيات لعبدالصمد بن المعدل، وأشار الميمني إلى مصدرين للأبيات: وهي في الوساطة ١٠٣ أربعة عشر بيتاً، وفي الثمار ٢١٧ ستة.

- ص "١٠٠" السطر الأخير من الصفحة = صحح الكلمة (سيرة يزيد).
- ص "١٠٢" س ١٧ = أشار إلى مصدر آخر ضمن بيتي ابن هرمة: بيتان في لباب الآداب ٩٨.
- ص "١٠٤" س ١٠ = ضمن نسبة الأبيات لكثير عزة أشار إلى: معجم المرزباني ٣٥٠.
- ص "١٠٤" س ٢٠ = صحح عنوان الكتاب: المجالسات لثعلب، وكان قد طبع المحاسبات.
- ص "١٠٥" س ١٥ = رواه أبو عبدالله الزبيري على نهج آخر، وأشار إلى النهج: راجعه بأخر الفهارس ص ١٣٤.
- ص "١٠٥" س ٢١ = صحح الكلمة هنا: رأيت منه نسخة.
- ص "١٠٦" س ٢ = صحح الكلمة الأخير من السطر: نسجها.
- ص "١٠٦" س ٧ = صحح الكلمة "ما ليس" بـ "مارس".

[تصحیحات]

- ص "١٠٩" س ٢ من العمود الثاني = الصواب: الخوذى و خوذى.
- ص "١١٣" س ١١ من العمود الثاني = والخلل بطائن أجفان السيوف.

- ص "١٣٠" س ١٤ = صحح اسم الشهر مارس سنة ١٩٣١ م.

[فهارس]

- ص "٦" س ١٧ من العمود الأول = غيبا ١٩ .
- ص "٨" س ٧ من العمود الأول = شطب كلمة : معصم ٩٥٥ .
- ص "٨" س ٣ من العمود الأول = صحح الكامة رادن بـ رادف .
- ص "٨" س ١٢ من العمود الأول = ديب ٢٠١ .
- ص "١١" س ٦ من العمود الثاني = أضاف بعده : أبو جلدة = مقاس .
- ص "١١" س ٢٣ من العمود الثاني = أضاف هنا : فبشرا ٧ .
- ص "٢٠" س ٩ من العمود الأول = صحح رقم الصفحة ، وهو : ١٤٥ ، حيث طبع ٧٤٥ .
- ص "٢٣" س ١٨ من العمود الثاني = صحح رقم الصفحة ، وهو : مفتاحاً ٥٣١ .
- ص "٢٥" س ٢ من العمود الأول = معقب ٤٠٦ ، ٤٥٤ .
- ص "٣٠" س ٢٠ من العمود الأول = هنا أضاف بعده : علي بن-أبي كثير إلى الجهل ١٣٤ ؛ بأخر الفهارس .
- ص "٣١" س ٢٦ = والحبس ٣٤٣ .

- ص "٣٩" س ١٠ من العمود الأول = صحح هنا رقم الصفحة لقافية الأصابع ٩٢٩.
- ص "٤٣" س ٢٤ من العمود الثاني = إغراء ٩٤٧.
- ص "٩٧" س ٢ من العمود الأول = أضاف بعد السطر الأول: إلى الجهل علي بن أبي كثير- ملحق الفهارس ١٣٤.
- ص "١١٣" س ١٢ = صحح يوم ديسمبر بمقابل ١٨ رمضان، وهو: ٢٤.
- ص "١٣٤" س ١٥ = بعد أنشدتها "الخالديان" شطب الحماسة المغربية بالدار ١٢٥، وبدلها بـ ط الأشباه ١/٢١٢. وزاد هنا: الخمسة الأولى مما عند القالي بلا عزو. وفي أشربة القتبي ١٠٥؛ ثم رأيتها سبعة عند المرزباني لعلي بن أبي كثير في ترجمته، ص ٢٨٢.



إضافات من معني بالكتاب

- ص "م" (❖) في فهرسة ابن خير: كتاب المؤلف والمختلف في أسماء القبائل، تأليف محمد بن حبيب النحوي، تهذيب القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد الوقشي. وفيه أيضاً: كتاب فيه تهذيب هذا المؤلف والمختلف لمحمد بن حبيب المذكور، تأليف أبي عبيد البكري.

- ص ٢٤ (❖) يريد بـ "المعاني" كتاب المعاني الكبير، لابن قتيبة، والإحالة على طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٨ هـ.
- ص ٦٥ (+) يريد بـ "الخالدين" كتاب الأشباه والنظائر للخالدين.
- ص ١٣٩ (❖) في الوحشيات ص ١٨٤ : ونشأها.
- ص ٤٨٨ (❖) الصبيي ص ٢٨.
- ص ٥١٩ (❖) في كتاب "من غاب عنه المطرب"، تح. عبد المعين الملوحي ١١٤، وهو ما استحسنه الصاحب من شعره لما حمل ديوانه إلى حضرته.
- ص ٨٢٨ (❖) ليس في المعاني الكبير المطبوع.
- ص ٨٣٠ (❖) أي الفصول والغايات للمعري.
- ص ٨٣٩ (❖) ورد في المعاني الكبير ص ١٩٨، ٦٨٥ برواية أخرى.



* إسلام آباد - باكستان.

بُرِيدُ الْعَرَبِ؛

ورد إلى "العرب" من الأستاذ مصطفى يعقوب عبد النبي، من القاهرة،

ما يلي:

مقال مجهول للشيخ حمد الجاسر

مقدمة

ليس من السهل الحديث عن الشيخ الجليل علامة الجزيرة حمد الجاسر -رحمه الله- في مجلة "العرب" لسبب بسيط للغاية وهو: من ذا الذي يجرؤ على الإفتاء ومالك بالمدينة؟

ولكنني أتوكل على الله وأقول: إنَّ باستطاعتي أن أفعل ذلك.

وبداية أقول إنَّ مكتبة فهد الوطنية قد أحسنت صنعاً بإصدارها كتاب "حمد الجاسر...دراسة لحياته مع بليوجرافية لأعماله المنشورة في الكتب والمجلات" والتي قامت بإعدادها "إدارة التكشيف والبليوجرافية الوطنية".

وقد صدرت الطبعة الثانية من الكتاب في الرياض سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. وقد ضم أشتاتاً من الأعمال، ما بين كتب قام بتحقيقها وكتب عكف على تأليفها فضلاً عن مئات المقالات في شتى ضروب المعرفة فيما يخص تراث العرب على اختلاف أنماطه.

وإذا كان هذا العمل هو صنيع محمود لاشك فيه حيال الأفاذ من العلماء وأرباب القلم، إلا أنه صنيع منقوص، ووجه النقص فيه أنه "نقص القادرين على التمام" كما يقول المتنبي في بيته المشهور، فإذا أراد باحث من الباحثين أن يرجع إلى مقالة أو مقالات للشيخ حمد الجاسر فما عليه في هذه الحالة إلا أن يزور هذه المكتبة أو تلك، ويقضي في ذلك شطراً طويلاً من وقته في البحث والتنقيب في المكتبات المختلفة التي قد تكون متباعدة في المكان أو تكون في مدينة أخرى، وهي صنوف من المعاناة يعلمها الباحثون وطلاب الأطروحات العلمية علم اليقين.

ولا يكتمل هذا الصنيع المحمود إلا بإصدار الأعمال الكاملة كما وردت في الببليوجرافيا كما تفعل بعض دور الطبع والنشر. ورُبَّ قائل يقول إنّ هذا مكلف للغاية، ويحوطه الإرهاق المادي من كل جانب، فضلاً عن أنّ أيّ دار لا تغامر بتلك التكاليف المادية الباهظة مع مردود بطيء أو شبهة خسارة مالية، غير أننا نقول إنّ مثل هذا الأمر لا شبهة فيه لأيّ إرهاب

مادي أو خسارة مالية، لسبب بسيط للغاية وهو أن وسائل التقنيات الحديثة قد استغنت عن النسخ الورقية المكلفة، وجاءت بدلاً منها الاسطوانات المدججة، التي تحمل الاسطوانة الواحدة منها عشرات الكتب أو مئات المقالات.

نخلص من هذا لنقول على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله فريق من الباحثين في إصدار البليوجرافية، وهو عمل شاق بكل المقاييس، على الرغم من ذلك كله فإننا قد عثرنا على مقال لم تذكره البليوجرافية ضمن ما ذكرت من مقالات تعدّ بالمئات لعلامة الجزيرة، ومعنى هذا أنه مقال مجهول، لا يدري من أمره أحد من الباحثين في أعمال الشيخ حمد الجاسر، وهو مقال بعنوان: "وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام" للسخاوي، وهو المؤلف الذي اشتهر بكتابه الضخم "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" وقد نشر المقال في مجلة "الرسالة" التي كان يصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات، وتحديدًا في العدد ٩٤٠ الصادر في ٥ شوال ١٣٧٠هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٥١م.

وقد راجعنا البليوجرافية فلم نجد للسخاوي ذكرًا إلا في موضع واحد، وذلك عند حديث الشيخ حمد الجاسر عن "البلدانيات الحديثة

من مصادر الجغرافية" في مقال نشرته "العرب" في العددين ١١ و ١٢ في
الجماديان ١٤٠٦هـ.

وفيما يلي نص المقال المجهول تحية لروح هذا العالم الجليل.

مخطوطات نادرة:

وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام - للسخاوي

للأستاذ حمد الجاسر

عني الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المولود
في القاهرة سنة ٨٣١ والمتوفى في المدينة سنة ٩٠٢ من الهجرة - بالتاريخ
عناية برز أثرها فيما كتبه من المؤلفات العظيمة التي أشار إلى بعضها في
ترجمته لنفسه في كتابه (الضوء اللامع) وسلم لنا منها من عيث الزمان
وعبثه خير كثير، مثل:-

١- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع في ستة مجلدات ضخام - وقد
طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٥٣ - ١٣٥٥، هذا فيه حذو شيخه
الحافظ ابن حجر في كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) وسار
على منواله آخرون، أتوا بعده.

٢- التبر المسبوك - ذيل به كتاب (السلوك) للمقريزي من سنة ٨٠٥ إلى
ما بعد سنة ٨٩٩ - بقليل - ألفه كما قال (إجابة لعظيم وقته الدوادار

الكبير في الأيام الأشرفية قايتباي يشبك بن مهدي الظاهري) وقال: إنه يقع في أربعة أسفار - ولعل الجزء المطبوع بهذا الاسم في مطبعة بولاق سنة ١٨٩٦ قسم من هذا الكتاب.

٣- الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ - وهو كتاب في التعريف بالتاريخ وبأشهر المؤرخين ومؤلفاتهم وهو مطبوع.

٤- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر - لا يزال مخطوطاً.

٥- القول المنبى في ترجمة ابن عربي - وهو مخطوط أيضاً - وفي هذا الكتاب أورد السخاوي أقوال العلماء المحققين في شطحات ابن عربي وزلاته.

٦- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام - قال عنه مؤلفه في (الضوء) - : إنه نافع جداً، وقال صاحب كشف الظنون (ص ٧٦٢ الطبعة التركية الحديثة) في أثناء الكلام على (دول الإسلام) - : ثم ذيله السخاوي من سنة ٧٤١ إلى سنة ٩٠١ ذيلاً مختصراً كأصله، وسماه الذيل التام بدول الإسلام - ثم أعاد صاحب الكشف اسم الكتاب مرة أخرى في حرف الذال. وسماه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣ ص ١٦٩) وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الإسلام وقال إنه من سنة ٧٤٥ إلى سنة ٨٩٨ ومنه نسخ في برلين وفيينا وأكسفورد والمتحف البريطاني وكوبرلي.

وقد اطلعت على جزء من هذا الكتاب لدى أحد علماء نجد في (الرياض) فرأيت خير تحية أقدمها لحضرات الأساتذة الإجلال موظفي (القسم الأدبي في دار الكتب المصرية) وصف هذا الجزء - فقد لا يعدمون منه عوناً في تصحيح الأجزاء الباقية من كتاب (النجوم الزاهرة)، وقد يجدون فيه مرجعا نافعا في تاريخ مصر - بل البلاد العربية في ذلك العهد.

يؤرخ هذا الجزء - وهو الأول من الكتاب - الزمن الواقع بين سنتي ٧٤٨ و ٨٩٠ - أي ثلاثاً وأربعين ومائة سنة - من منتصف القرن الثامن إلى نهاية العقد التاسع من القرن التاسع - فيذكر الحوادث ثم يتبعها بوقيات الأعيان من علماء وملوك وأمراء ومشاهير، وهو يوجز في ذلك أحياناً ويفصّل حيناً - فسنة حوادثها ووقياتها لا تجاوز ثلاث صفحات، وأخرى تستغرق ورقات.

مثال من إيجازه (سنة تسع وعشرين وثمان مائة. في رجب برز العسكر المصري وغيره في الحراقة وقبرس (كذا) حين طرق الخبر أنّ صاحبها استنصر بملوك الإفرنج على المسلمين، لما جرى على بلاده، ما أشير إليه في التي قبلها. وأنهم أمدوه ليأخذ إسكندرية - زعم - تأسيساً بوالده، حين طرقها في المحرم سنة سبع وستين، أيام الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون - سبق - فكان اللقاء الفريقين في رمضان، فخذل حزب اللعين وأمسك صاحب قبرس فقيّد، وقتل من عسكرة في يوم واحد ستة آلاف فيما قيل - منهم أخوه وكذا قيّد ابنه وابن أخي

صاحب الكيتلان وأخذت الأفنسية^(١) كرسي المملكة وأقيمت الجمعة بقصره الذي وجد فيه من الأمتعة ما لا يحصى، وأُذِنَ على صوامع الكنائس، وعادوا بعد أن قتلوا وحازوا من الغنائم ما لا يحصى كثرة، وأسروا نحو أربعة آلاف نفس حتى طلَعوا القلعة في يوم الاثنين، ثامن شوال، فكان أمرًا مهولًا لم يعهد في هذه الأزمان مثله وخرج الخلق لرؤيته حتى البكر من خدرها؛ وحضر ذلك أمير مكة ورسَل كل من ابن عثمان وملك تونس وأمير التركمان وابن نعيم^(٢) وكثير من قصاد أمراء الشام، وقرر عليه من المال بسبب افتدائه ما يفوق الوصف، مما يقوم بنصفه الآن، وبالباقي إذا رجع، سوى ما التزم به في كل سنة من المال، والصوف الملون، وأن يطلق من بقي عندهم من أسرى المسلمين. وقال لما دخل إسكندرية ورأى كثرة من بها من الجند: والله إن كل من في بلاد الإفرنج لا يقاوم هؤلاء وحدهم، وفرح المسلمون بنصر الله تعالى، وطار خبر هذه الغزوة إلى الآفاق، وعظم بها قدر سلطان مصر، وقال الشعراء الشعْر في ذلك فأكثرُوا، بل قيل إنَّ الملك قال بلسانه قبل خلاصه مما عُرِّبَ :-

يا ملكًا ملك الورى بحسامه انظر إلى برحمة وتعطف
وارحم عزيزًا ذل وامنن بالذي أعطاك هذا الملك والنصر الوفي
إن لم تؤمّني وترحم غربتي فبمن ألوذ ومن سواكم لي بقي

(١) كذا شكلت هذه الكلمة (الأفنسية).

(٢) ابن نعيم بن مهنا أمير آل فضل.

ومات في جمادى الآخرة عن دون الثمانين بدمشق العلامة الزاهد الورع الرباني التقي أبو بكر بن محمد عبد المؤمن الحصني ثم الدمشقي الشافعي شارح التنبيه والمنهاج والغاية وأربعين النووي والأسماء الحسنی وصحيح مسلم وغير ذلك ؛ كتلخيص المبهمات وقمع النفوس. مع القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانجماعه التام، وتقشفه، وعدم محاباته، وانحرافه عن التقي ابن تيمية، ومبالغته في الحط عليه بحيث ثارت بسبب ذلك فتن كثيرة مما كان الوقت في غنية عنه. وفي ذي الحجة وقد زاد على الستين بيت المقدس قاضي الشافعية بالديار المصرية وصاحب تلك الحوادث التي لا تخلوا من التعصب عليه، الشمس محمد بن عطاء الله الرازي الهروي ممن ولي صلاحية المقدس في أول أمره وآخره، والقضاء بينهما مرة بعد أخرى، وكتابة السر. وحدث ودرّس وأفتى، وصنّف شرح مسلم وغيره، وكان إماماً عالماً غوّاصاً على المعاني، حافظاً لكثير من المتون والتواريخ، رئيساً مهاباً، ضخماً، حسن الشكالة، لئّن الجانب، أثنى عليه غير واحد على ما فيه من طبع الأعاجم وقوادح. وبنى بالمقدس مدرسة. وفي ذي الحجة بالقرب من المدينة النبوية وهو راجع من الحج والزيارة العلاء أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد الدمشقي الشافعي ابن سلام بالتشديد وقد زاد على السبعين وحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع وكان حافظاً لكثير (الرافعي) مع إشكالات عليه، وأسئلة حسنة، بحثاً يُقرئ الفقه وأصوله حسناً، مع يد في الأدب، ونظم ونثر واقتصاد في ملبسه وغيره، وحسن محاضرة، وشرف نفس، ولكنه يتكلم في كبار؛

ويرمى بالمناضلة عن ابن عربي. وقد درس في الظاهرية البرانية والعدراوية وغيرها. وفي ربيع الآخر العلامة شيخ الشيوخونية، وأوحد الحنفية، السراج عمر بن علي بن فارس القاهري ويعرف بقاريء الهداية، تصدى للإقراء والإفتاء، وكثرت تلامذته، وصار المعول عليه، مع الاقتصار في أموره كلها، وإعراضه عن بني الدنيا، وعظمته في الأنفس ومحاسنه غزيرة. وفي جمادى الآخرة عن نحو التسعين قاضي المالكية بالديار المصرية الجمال أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم الطائي البساطي، مصروفًا، وكان فيما قاله العيني: عارفاً بصنعة القضاء غير مشكور فيه، ولا متقدم في مذهبه وغيره. وفي المحرم فجأة الشيخ المعتقد خليفة الغربي ثم الأزهري، وفي جمادى الآخرة الشريف أمير مكة حسن بن عجلان بن رميثة الحسني. وفي رمضان الأتابك قجق الشعباني الظاهري، ونزل السلطان فصلى عليه، وكان متواضعاً حليماً ليناً، خائفاً على دينه، قاله العيني. واستقر بعده يشبك الساقى الأعرج. وعليبي بن خليل بن الغادر قتلاً على يد نائب حلب جار قتلوه).

ومثال آخر لتفصيله في التراجم - قال في الكلام على حوادث سنة ٧٤٨ - في سياق وفياتها (والكمال^(٣) أبو الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي الشافعي مصنف الإقناع في أحكام السماع والطالع السعيد في

(٣) خطأ مصحح الجزء العاشر من (النجوم الزاهرة) طابع كتاب (الحظ السعيد) لما ذكر وفاة مؤلفه في سنة ٧٤٨. وهي تخطئة خاطئة فالسحاوي ذكر وفاته في هذه السنة.

تاريخ الصعيد والبدر السافر في تحفة المسافر وجملة والماهر في فنون، مع
فقه ونظم ونثر - في صفر بالقاهرة عن نيف وستين سنة بعد رجوعه من
الحج. أثنى عليه الأسنوي وغيره وهو القائل:

إنّ الدروس بمصرنا في عصرنا طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهي لنهاية جدلاً ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدي مباحث كلها نشأت عن التخليط والأخلاط
ومحدث قد صار غاية علمه أجزاء يرويها عن الدمياطي
وفلانة تروي حديثاً عالياً وفلان يروي ذلك عن أسباط
والفرق بين عزيزهم وعزيزهم وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه قول أرطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله عادت جهرة هذا زمان فيه طي بساطي
ولى زماني وانقضت أوقاته وزهابه من جملة الأشرط
ودفن بمقبرة الصوفية).

وقد يستعمل المؤلف السجع في بعض الأحيان كقوله في حوادث سنة ٨٢١
(في شوال- لؤلؤ الطواشي، كاشف الوجه القبلي - وكان من الحمقى
المغفلين، والظلمة الفاتكين، في صورة الناسكين). وقوله في حوادث سنة
٨٧١هـ (وفي جمادى الأولى علي بن رمضان، الأسلمي أبوه، القاهري
مكاس جدة - ممن ظلم وعسف، وفسق فما كف. وله دار بحارة

برجوان كانت مجمعاً لمحنه ، وأخذ مسجداً كان بجانبها فأذهب هيئته وعمله
مدرسة).

والمؤلف ينقل عن ابن كثير والمقريري وابن حجر وابن دقماق والعيني
وغيرهم - ولكن نقله عن هؤلاء وتعويله عليهم لا يعفيهم من النقد
والتجريح - وقد يتحامل على بعضهم تحاملاً ظاهراً فلا تمر به مناسبة إلا
ابتدراها ، ولا هفوة إلا ذكرها ، كما فعل مع برهان الدين إبراهيم البقاعي
المتوفى سنة (٨٨٥هـ)^(٤) . ويكتفي بالغمز الخفي وبالتلميح بعبارة مجملة إن
لم يجد موقعاً مناسباً - فصارم الدين إبراهيم بن محمد بن دقماق الذي
استفاد من كتابه (الجواهر الثمين في الخلفاء والملوك والسلطين) كما صرح
بذلك في الكلام على سنة (٨٠٥هـ) التي انتهى الكتاب بانتهائها ، لا يجد
المؤلف غضاضة في أن يصفه لما تكلم على وفاته سنة (٨٠٩هـ) بأنه مؤرخ
الديار المصرية ولكنه يتبع ذلك بقوله (وعليه معول كثيرين في التاريخ مع
كونه عامي العبارة). وتقي الدين المقريري الذي لم يكتف بنقل كثير من
عباراته بنصّها بدون إشارة إلى ذلك - بل عمد إلى تذييل كتبه وتكميلها ،
يقول عنه (وصنف فيه - يعني التاريخ - وطار اسمه به مع تميزه في غيره)
وهذه العبارة المهمة المجملة يوضحها ما ذكره السخاوي في ترجمة
المقريري في (الضوء) من أنه عثر على مسودات لكتابه (الخطط) لأحد

(٤) انظر ترجمته في (الضوء). وقد ذكر في (وجيز الكلام) أشياء كثيرة عنه لا يتسع المقام
لذكرها.

العلماء المتقدمين - وهو قول يرده ما عرف من تحامل السخاوي على مؤرخي عصره. والتحاسد بين المتعاصرين المشتركين في عمل أمر معروف. ويقول السخاوي حينما ساق ترجمة ابن تغري بردى سنة ٨٧٤ (المؤرخ الفريد في أبناء جنسه. وما عسى أن يصل إليه تركي مما كان مشتملاً عليه يستكثر من مثله). أما موقفه مع السيوطي فما لا يحتاج إلى بيان. حتى شيخه الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢) والذي أفرد ترجمته بمؤلف خاص - ولغ في الثناء عليه مبالغة جاوزت الحد، حدثني الأستاذ الشيخ سليمان بن حمدان أحد علماء نجد أن السخاوي هذا ألف في حقه كتاباً سمّاه (العجر والبجر من أحوال ابن حجر).

أوصاف النسخة:

يقع هذا الجزء في ٥٩٢ صفحة - مقياس الصفحة ١٦ في ١٢ سنتيمتراً - والمكتوب فيه منها ١٢ في ٩ سنتيمتراً - تحتوي كل صفحة على ١٩ سطراً - تتراوح كلمات السطور بين ١٢ و ١٥ كلمة، ونوع الكتابة الخط الفارسي الدقيق المهمل من الإعجام والشكل والخالي من كتابة الهمزات - إلا نادراً ومداد الكتابة أسود سوى أسماء السنين فبالمداد الأحمر - ولا ذكر للكاتب ولا لتاريخ الكتابة. ولا يبعد أن تكون هذه النسخة من مخطوطات القرن العاشر الهجري، ويؤيد هذا ما جاء في آخرها بخط مغاير لخط الأصل مما نصّه (آخر الجزء الأول من وجيز الكلام في الذيل لدول الإسلام للذهبي - لشيخنا العلامة الحجة خاتمة الحفاظ والمتقدمين (كذا)

أبي الخير محمد بن . عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي
القاهري. . .) ومكان النقط كلمات غير واضحة - وكلمة شيخنا تدل
على أن كاتب هذا من تلاميذ السخاوي - وكتابة النسخة أقدم من هذه
الكتابة.

وقد سقط من أول هذا الجزء كراسة - في عشر ورقات - لأن كراسات
جميع النسخة مرقمة من (١) إلى (٣١) وكل كراسة عشر ورقات سوى
الكراسة الأخيرة فورقها ست. وقد يسهو الكاتب فينقص ورق بعض
الكراسات ولكنه يستدرك ذلك في الكراسة التي بعدها - فيجعلها زائدة
بمقدار ما نقص من التي قبلها كما في الكراستين (١٥ - ١٦).

ويبتدئ الكتاب من جملة (استكثر عليّ دمشق فليولني أيّ البلاد شاء ولا
أدخل مصر. ثم خرج من الغد ومعه أهله وعياله ودوابه وحواصله إلى
خارج البلد عند قبته المعروفة به) ثم بعد هذا كلام يقع في ثلاث صفحات
عن قتل (يلبغا) في آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ وعن إقامة حسن بن
الناصر محمد بن قلاوون سلطاناً في يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان، ثم
بعده سياق خبر وقيّات (الذهبي) وابن منصور المقدسي والأدفوي
وغيرهم، ثم في آخر الصفحة الأولى من الورقة الثالثة (سنة تسع وأربعين.
استهلت والسلطان الناصر حسن بن الناصر محمد قلاوون (كذا) ونائبه
بمصر ببيغاروس (بدون نقط) الناصري).

ثم يسترسل المؤلف في سرد حوادث السنين إلى نهاية سنة ٨٩٠ - على طريقة المقرئزي في (السلوك) بإيجاز.

ومن أمثلة الإشارات اللطيفة الطريفة التي أوردها قوله في حوادث سنة ٨٨٠ (في شعبان اجتهد الدوادار الكبير في تحصيل كتب المؤيدية حين بلغه جحد بعضهم استعارة تفسير الفخر الرازي في مجلد وإرساله لابن عثمان، ورسم على الخازن وصهره حتى استرجع غالبها وعجز عن التفسير بعد إهانة ابن الشحنة الصغير بسببه. وفي رمضان احتال جماعة من تجار كيتلان الإفرنج في أسر جماعة من أعيان التجار المسلمين من ساحل الثغر السكندري ثم باعوهم لبعض الروادسة إلى أن افتكوا من أيديهم بعد أخذ القدر المتفق عليه في شعبان سنة اثنتين وثمانين).

هذا وصف مجمل لهذا الجزء. رجاء أن يتبعه أحد قراء هذه الصحيفة بوصف أتم وأكمل للكتاب كله.

الرياض حمد الجاسر

معجم مطبوعات التراث في المملكة العربية السعودية، تأليف الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب، الرياض: إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية (جامعة الملك سعود)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، (٨ مجلدات).

هذا إصدار جليل تحدّث عنه مؤلفه في مجالسه منذ سنوات تربو على الثلاثين؛ فقد ظل الدكتور الضبيب يجمع مادة الكتاب دون كلال مع تقطع فيما يبدو حتى قيّض الله زميله الدكتور عبد العزيز المانع الذي ألح على الدكتور الضبيب حتى أكمل العمل وأتم نشره. وقد ألح المؤلف في مقدمته إلى أنّ المشروع بدأ على هيئة جزازات لكتاب له تحت الطبع عنوانه "حركة إحياء التراث في المملكة العربية السعودية" (ج ١/٦).

والدكتور أحمد بن محمد الضبيب خريج قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة في عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. وابتعث للدراسة العالية في بريطانيا وتخرج من جامعة ليدز في بريطانيا عام ١٩٦٦م حاصلاً على شهادة الدكتوراه. وعاد إلى جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) ليعمل أستاذاً للأدب العربي في كلية الآداب بالجامعة، وتدرّج في مناصب علمية

وإدارية حتى صار مديراً لجامعة الملك سعود بالرياض في المدة (١٤١٠-١٤١٦هـ/١٩٩٠-١٩٩٦م). وكان قبل ذلك عميداً لشؤون المكتبات؛ وقد اهتم إبان عمادته تلك بقسم المخطوطات في جامعة الملك سعود واشترى له مخطوطات وجلب له مصوّرات.

أما في مجال التحقيق فقد نشر د. الضبيب كتاب الأمثال لمؤرج أبي فيد السدوسي في عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م (انظر المجلد ٦/٩٧). وظل معنياً بالتحقيق من خلال بحوثه وأحاديثه.

يقع معجم مطبوعات التراث في ثمانية مجلدات خصص المجلد الثامن منه للكشافات (٣٧٩ صفحة). وعدد صفحات المعجم (٢١٥٣) صفحة تضاف إليها صفحات الكشافات فيرتفع العدد إلى (٢٥٣٢) صفحة. وقد تحدّث المؤلف في المقدمة عن عدة أمور، مشيراً إلى أنّ تجربة المعاجم البليوجرافية أو الفهارس لدى المسلمين قديمة. ثم عرّج على بعض الفهارس الحديثة مشيراً إلى أمر مهم وهو أنّ معظم مؤلفي تلك الفهارس انصبّ اهتمامهم على جهود النشر في "دول المركز" (مصر والشام والعراق فيما بعد، ج ١/ص ٥). ولم يولوا حركة النشر في المملكة العربية السعودية اهتماماً كافياً على الرغم من بدء حركة النشر فيها مبكراً؛ إذ يعيدها المؤلف إلى ١٣٠٠هـ وهي السنة التي أنشئت فيها المطبعة الميرية في مكة المكرمة في العهد العثماني.

وتحدّث المؤلف من بعد عن منهجه في العمل مشيراً إلى أنه يذكر ما نشر في المملكة من تراث سواء أحققه سعوديون أم غير سعوديين. كما أنه

ضمّن المعجم ما نشره السعوديون خارج المملكة من كتب التراث سواء
أكانت في هيئة كتب أم ضمن دوريات ومجلات.
وقسّم المعجم إلى عشرة أبواب أوردتها في المقدمة وفق ما يأتي :
الباب الأول : كتب علوم القرآن الكريم.
الباب الثاني : كتب علوم الحديث النبوي الشريف.
الباب الثالث : كتب العقيدة.
الباب الرابع : كتب الفقه وأصوله.
الباب الخامس : كتب اللغة والنحو والعروض.
الباب السادس : كتب الأدب.
الباب السابع : كتب البلاغة والنقد الأدبي.
الباب الثامن : كتب التاريخ والسّير والتراجم.
الباب التاسع : كتب الجغرافية والرحلات.
الباب العاشر : علوم متفرقة.

وقد مرّ على نشر المعجم عام أو أكثر ومع ذا لم يحظ إلا بمراجعات
قليلة حسب اطلاعي ؛ فقد نشر عنه زميلي الدكتور إبراهيم بن سليمان
الشمسان مقالاً (الجزيرة ٢٧/٢/٢٠١٦هـ) وتلاه بعد عدة أشهر الدكتور
حمد بن ناصر الدخيل الذي كتب عرضاً في جريدة الجزيرة أيضاً
(١٧/١٠/٢٠١٦م). ولعل سبب هذا التجاهل (إن صحت العبارة!)
يعود في جزء منه إلى ما ذكره د. الضبيب في مقدمته وملخصه أنّ "دول
المركز" (مصر والشام والعراق) كما سمّاها هي التي تحظى بالنصيب

الأوفى نشرًا ومراجعة. وثمة سبب آخر يعود في ظني إلى مسألة التوزيع؛ فلا يزال الكتاب في المملكة عامة حبيسًا فيها إلى حد بعيد خاصة ما تنشره الجهات الحكومية من جامعات ونحوها.

اشتمل المعجم على معلومات وافية عن (٢٩٨٤) مدخلًا؛ يختص بعض المداخل بكتاب واحد. وقد تتعدد مداخل الكتاب الواحد حسب تعدد التحقيق أو النشر. فكتاب الأمثال للمؤرخ الذي أشرنا إليه سابقًا ورد مرتين؛ لأن مؤلف المعجم نشره أولاً في المجلة العلمية لكلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً)، ثم نشره كتابًا مستقلًا في العام نفسه (ج٦/٩٧).

يتميز هذا المعجم بعدة ميزات:

الأولى: حصره لأكبر عدد من المؤلفات التراثية التي حققها ونشرها علماء المملكة. وقد تتبّع د. الضبيب الموضوع سنوات طويلة واجتهد في السنوات الأخيرة لما همّ بنشر المعجم. ويبدأ الرصد المعجمي من سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م إلى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ولم يدخل في ذلك الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) التي لم تنشر. وقد ذكر المؤلف طرفًا من (مصادر المعجم) مما حوته مكتبات الجامعات وبالذات جامعة الملك سعود، وما نشرته المجلات العلمية، وما ورد في البليوجرافيا الوطنية السعودية، والبليوجرافيا العامة، وقد بحث عن الكتب بنفسه شراءً أو استهداءً، وأفاد من معارض الكتاب التي تقام في الرياض منذ التسعينات الهجرية.

الثانية: إعطاؤه معلومات تامة عن نشرة الكتاب المحقق التي يتحدث عنها من حيث اسم المؤلف وسنة وفاته وعنوان الكتاب كما ورد في النشرة، واسم محققه ومعلومات النشر من حيث الناشر وعام النشر، وعدد صفحات الكتاب. ثم يتحدث عن المخطوطة أو المخطوطات التي اعتمد عليها المحقق ويورد معلومات عن كل مخطوطة من حيث مكانها ورقمها وتاريخ نسخها واسم الناسخ. وإذا كانت وسيلة النشر مجلة أورد كل حلقة من الكتاب المنشور بمعلومات وافية عن اسم المجلة وأعدادها وصفحات المنشور وعام نشره...إلخ. (مثلاً: ج ١/١٦٠، ج ٧/٢٢٩-٢٣٠، ص ٢٣٢-٢٤١).

الثالثة: أتبع المعلومات السابقة بأمرين سماهما السوابق واللواحق؛ ففي السوابق يذكر المقدمات وما في حكمها، فيقول في أحد المداخل (ج ١/١٠٨) مثلاً: "السوابق: مقدمتان رسميتان ومقدمة التحقيق والدراسة، ص ٥-١٥٧" وفي اللواحق يتحدث غالباً عن فهرس الكتاب، ويورد كشفاً بها أكثرت أم قلت.

الرابعة: يورد المؤلف ما له من ملحوظات أو ما يود التنبيه عليه في فقرة (ملحوظات). وهي لا ترد في كل مدخل، لكنها تدل على الجهد الكبير الذي بذله المؤلف. فيقول مثلاً: أصله رسالة دكتوراه ونحوه، أو يشير إلى الممول للنشرة فيقول على نفقة فلان، أو يبدي مأخذ له على النشرة فيقول مثلاً: (ذكر المحقق أن تاريخ نسخ مخطوطة دار الكتب المصرية هو سنة ٦٧٨هـ، وقد جاء في آخر هذه النسخة وهي الأصل المعتمد... ما

يأتي: "تم الحاوي في الفتاوي بعد صلاة عصر الجمعة آخر يوم من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وسبعمائة...على يد...محمد بن عيسى بن فخر الحفيد" وقد اعتمدنا هذا التاريخ (ج ٤/١٨٤). وقد يسرد في قسم الملاحظات المحققين إذا كثر عددهم (مثلاً: ج ١/١٦٠، ج ٤/٨١). وقد يشير إلى تصرف المحققين في عناوين الكتب؛ فيقول (ج ١/١٧٧): "لم يستعمل المحقق أيّاً من الأسماء الموضوعة لهذا المؤلف على المخطوطات التي اعتمد عليها، واخترع اسماً جديداً للكتاب هو "الفوائد في مشكل القرآن" قائلاً: أعطيت لنفسى الحرية فأطلقت على الكتاب عنوان "الفوائد في مشكل القرآن"! ومثله (ج ٣/٢٣٢). ويوضح أحياناً ما قد يخفى؛ فيقول مثلاً (ج ٢/٢٦٠): "الغيلانيات نسبة إلى محمد بن محمد بن غيلان (ت ٤٤٠) الذي تفرد برواية هذه المجموعة من الأحاديث عن أبي بكر الشفعي". وقال في مكان آخر (ج ٢/٢٦٤): "المنهاج هو منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين البيضاوي" وذلك في عرضه لكتاب الحافظ العراقي "تخرّيج أحاديث مختصر المنهاج". ويذكر أحياناً طبعا أخرى بمعلومات موجزة. وقد تعدد ملحوظات المؤلف على كتاب واحد، وقد يخلو الكتاب من أيّ ملحوظات.

هذا موجز عن المعجم، وهو داخل ضمن ما يسمّى بالبيبلوجرافيا المفصّلة (الموسّعة) annotated bibliograpy؛ فما يقدمه عن المنشورات يتميّز بالوفرة مع معلومات ووقفات مهمة فيها تنبيه على أمر غفل عنه المحقق أو وقف دونه أو لم يلتزم به. ومع ذلك فبعض المداخل لم يتحقق

فيها بعض ذلك (وهي قليلة). فاكتفى المؤلف الكريم بذكر معلومات أولية عن الكتاب (مثلاً: ج ١/٣٢ رقم ١٨، ج ١/١٨٣ رقم ٢٠٠، ج ١/١٩٧ رقم ٢١٤-٢١٦، ج ٤/١٠٨-١٠٩، ١١٢). وأحسب أنّ المؤلف لم يصل إلى نسخ من هذه الكتب لكي يتصفحها ويستخرج منها ما اعتاد من معلومات.

كما أنّ الكتاب خلا من الأخطاء المطبعية إلا ما ندر، وهو عمل يشكر عليه المؤلف والناشر. فقد أصبح التطبيع والأخطاء النحوية سمة كثير من المنشورات بما في ذلك منشوراتٍ لدور نشر كبيرة نتظر منها أن تعتنى بما تنشره وأن تقلل الأخطاء.

أمّا النقص المتمثل في فوت بعض المنشورات المؤلف فقد أشار إليه المؤلف في مقدمته قائلاً: "من المتوقع ألا يضم هذا المعجم جميع ما صدر في بلادنا من كتب التراث؛ فذلك أمر لا سبيل للإحاطة به...". وقد أورد كل من الدكتور إبراهيم الشمسان والدكتور حمد الدخيل فيما كتبه نماذج لما فات المؤلف مما هو داخل في شرطه، وهما لم يستقصيا الأمر. ومن الأولى لكل من لديه ملاحظات أو إضافات أو تصويبات أن يزود بها المؤلف أو الكرسي.

لا شك أنّ الباحثين المعنيين بالتحقيق خاصة سيجدون في الكتاب ضالتهم؛ ومن هنا أقترح على دار النشر بجامعة الملك سعود أن تهتم بإرساله إلى مكاتب الجامعات العربية والإسلامية ومكاتب الجامعات الأخرى التي فيها أقسام للدراسات الإسلامية والعربية في العالم؛

فالكتاب المنشور في المملكة لا يكاد يوجد في مكتبات عالمية كثيرة نظراً لسوء توزيعه بيعاً أو إهداء. وأذكر أنني قابلت أحد أساتذة التاريخ والحضارة الإسلامية في روسيا عام ١٤١٠هـ فكان طلبه الوحيد أنهم يريدون لمكتبة جامعة سان بطرسبيرج في روسيا نسخة كاملة من المعجم الجغرافي للمملكة بكل أقسامه ؛ وأظن أنّ مطلبه لم يتحقق! وينبغي أن توجه النسخ المهداة إلى مكتبة الجامعة أو المكتبات العامة مباشرة لا إلى رؤساء أقسام الدراسات العربية والإسلامية ، فإنهم سوف يعدّونها هدية لهم أو على الأقل لن يحيلوها إلى مكتبة الجامعة.

تبقى ملحوظة أخيرة وهي أنّ الكتاب لو ظهر في عمودين لكل صفحة لكان أولى وأجمل ؛ إذ في الكتاب فراغات كثيرة ذهبت هدراً. وأحسب أنّ الكتاب يمكن أن ينقص مجلداً أو نحوه لو جعلت الكتابة في عمودين.

نسأل الله للأستاذ الدكتور أحمد الضبيب حياة طيبة ومزيداً من العطاء. كما نشكر كرسي الدكتور عبد العزيز المانع الذي أتحننا بهذا العمل وبسواه من المنشورات المتميزة. وإنني أتفق مع الدكتور حمد الدخيل من أنّ المعجم أميز منشورات الكرسي الأخيرة وأجلّها كمّاً وكيفاً ؛ وهو كما سمّاه د. الدخيل "كتاب الموسم لعام ١٤٣٦هـ". والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. صالح بن سليمان الوهبي

إهداءات إلى مكتبة العرب

أولاً- الكتب :

- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين ، تأليف حسن بن أحمد اليميني (عاكش) الذي نسب تحقيقه إلى الشيخ عبدالله بن علي بن حميد ، قرأه وعلّق عليه وأخرج أصل الكتاب عن النسخة الأصلية د. أحمد بن محمد بن حميد ، إصدار داره الملك عبدالعزيز ٢٩٦ ، الرياض ، ١٤٣٤هـ.
- إعمار الهجر ، آليات إنتاج العمران : تثليث-عسير ، د. هند بنت حسن القحطاني ، إصدار داره الملك عبدالعزيز ، سلسلة الرسائل الجامعية (٤٣) ٢٩٧ ، الرياض ، ١٤٣٤هـ.
- حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، جابي زاده علي فهمي ، إصدار داره الملك عبدالعزيز ، ٣٠٦ ، الرياض ، ١٤٣٤هـ.

ثانياً- المجلات :

- الخفجي ، السنة ٤٤ ، العددان مارس-أبريل ٢٠١٤م ، جمادى الأولى-جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ ، رئيس التحرير المسؤول : م. رياض عبدالرحمن الحسن.
- الفيصل ، السنة ٣٨ ، العددان : ٤٥٣-٤٥٤ ، الربيعان ١٤٣٥هـ/يناير-فبراير ٢٠١٤م ، رئيس التحرير : عبدالله يوسف الكويليت.
- أوراق نسبية ، تصدرها الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب التابعة لاتحاد المؤرخين العرب ، العدد الأول ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، رئيس التحرير : د. محمد جاسم حمادي المشهداني.
- التربية الإسلامية ، العدد ٣ ، السنة ٤٠ ، ربيع الأول ١٤٣٥هـ/كانون الثاني ٢٠١٤م ، رئيس التحرير : د. كوان كعيد خلف.
- التربية الإسلامية ، العدد ٤ ، السنة ٤٠ ، جمادى الأولى ١٤٣٥هـ/آذار ٢٠١٤م ، رئيس التحرير : د. كوان كعيد خلف.